الأوائل

التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها

رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الآثار

THE BIBLE UNEARTHED

أ.د إسرائيل فنكلشتاين

ISRAEL FINKLESTIN

نيل أشر سيلبرمان

NEIL ASHER SILBERMAN



ترجمة سعد رستم

قرؤوا فوصلوا

لنقرأ حتَّى نصل

الطَّبعة الأُولى

حُزَيران 2005م

الطَّبعة الثَّانية

آب 2006م

الإشراف الفنّي : يزن يعقوب

تصميم الغلاف : هلا خلوصي

التَّدقيق والمُراجعة : إسماعيل الكُردي

الكتاب : التَّوْراةُ اليهُوديَّة مَكْشُوفةٌ عَلَى حَقيْقَتهَا

تأليف : د. إسرائيل فنْكِلشْتَاين

نيل إشر سِيْلْبِرْمَان

ترجمة : سعد رُستم

النَّاشر : **الأوائل** للنَّشر والتَّوزيع

سُوريَّة . دمشق . الإدارة : ص . ب 3397

هـاتـف : 00963 11 44676270/1/2

فـاكس : 00963 11 44676273/4/5

البريد الإلكتروني : alawael@scs-net.org

التَّوزيع : دمشق ص . ب 10181

هاتف : 00963011 02233013

البريد الإلكتروني : alawael@daralawael.com

جـوَّال : 00963 93 418181

00963 93 411550

موقع الدَّار على الإنترنت :

www.daralawael.com

د. إسرائيل فنْكَلشْتَايْن
Israel Finkelstein
برُوفيسُور ورئيس قسم علْم الآثار
في جامعة تلِّ أبيب

و

نيل إشر سيلْبرْمَان
Neil Asher Silberman
مُؤرِّخ وباحثٌ أمريكيٌّ

التَّوْرَاةُ اليهُوديَّة مَكْشُوفَةٌ علَى حَقِيْقَتِهَا

رُؤية جَديدَة لإسرائيل القديمة وأُصُول نُصُوصهَا المُقدَّسَة على ضوء اكتشافات علْم الآثار

THE BIBLE UNEARTHED

ARCHAEOLOGY'S NEW VISION OF ANCIENT ISRAEL AND THE ORIGIN OF ITS SACRED TEXTS

تَرْجَمَهُ عن الإنكليزيَّة ، وقدَّم له ، وعلَّق عليه
سعد رُستُم

الأوائل

تنويهٌ هامٌّ

من أجل تواصُل أكثر مع السَّادة القُرَّاء ، فقد خَصَّصْنَا آخر (24) صفحة من هذا الكتاب لمنشورات الدَّار ؛ حيثُ يجد السَّادة القُرَّاء قائمة بمنشورات الدَّار ، ولمحة إلى كُلِّ كتاب أصدرتْهُ الدَّار .

هذه القائمة تُعطي انطباعاً عامَّاً عمَّا تنشُرُهُ الدَّار من آراء ، كما تُعطي لمحةً عامَّةً إلى الخطِّ الذي تنتهجُه الدَّار ، وهذا ـ بلا شَكٍّ ـ سيجعل التَّواصُل أسرع وأقرب وأصدق.

فنرجُو من السَّادة القُرَّاء قراءة هذه الصَّفحات بتأنٍّ وتدبُّر ، ونرجُو مُراسلتنا بمُلاحظاتكُم واستفساراتكُم عن الكُتُب التي تنشُرُها دارُ الأوائل .

الفهرس

مُقدِّمة المُتَرْجم

بسم الله الرّحمن الرّحيم، نحمدُ الله - تعالى - أنْ هدانا لدينه القويم، وأكرمَنَا بقُرآنه الكريم، كتابٌ لا يأتيه الباطلُ من بيْن يدَيْه، وَلا منْ خَلْفه، تَنزيلٌ من حَكيمٍ حَميدٍ، تكفَّل اللهُ - تعالى - نفسه بحفْظه من كُلِّ تحريف وتبديل، أو زيادة، أو نُقصان. ونُصلّي، ونُسلِّم على خاتم النَّبيِّين، وصفوة البشر أجمعين؛ سيِّدنا مُحمَّد بن عبد الله، الصّادق الأمين، وعلى جميع الأنبياء والمُرسَلين، ومَنْ سار على نهْجهم إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ؛ فيقول الحقُّ عزَّ شأنه:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ البقرة/ 79.

ويقول عن اليهُود:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عُمران/ 78.

أجل؛ كَتَبَ أحبارُ اليهُود قديماً كُتُباً وأسفاراً أضافوها للتّوراة، ونسبوها للّه، وحرَّفوا الكَلم عن مواضعه.. ثُمَّ جاء مَنْ بعدهم، وبنى على ما سبق، وعدَّ كُلَّ أسفار ما يُسمَّى بالكتاب المُقدَّس العبْريّ The Hebrew Bible إلهاميَّة من الله، وكلمة الله الحقَّة، رغم اعترافهم أنَّ مُؤلِّفي كثير من تلك الأسفار كُتَّابٌ مجهولون، وأنَّ كثيراً من تلك الأسفار أُلِّفَ على مراحل، وجمِّع من عدَّة مصادر، واستند مُؤلِّف كُلِّ مصدر فيه إلى مصادر خارجيَّة مُتعدِّدة!

وكانت الطَّامَّة أنْ استندت الحَرَكَة الصّهيونيَّة الاستعماريَّة في القرنَيْن الأخيرَيْن إلى نُصُوص التّوراة العبْريَّة المُحرَّفة لتبرير احتلالها لما اعتبرتْهُ الأرضَ الموعودةَ الممنوحةَ لها من الله، وأخذت تعيث ظُلماً وفَسَاداً وقَتْلاً وهَدْماً، مُستندةً لنُصُوص توراتيَّة، ما أنزل اللهُ بها من سُلطان، كما أخذت تُهدِّد بناء المسجد الأقصى قبْلَة المُسلمين الأُولى؛ بحُجَّة البحث عن الهيكل السُّلَيْمَاني الكبير المزعوم . . .

مُنْذُ عصر النّهضة والتّنوير في أورُوبا، وُضِعَتْ الكُتُب المُقدَّسة اليهُوديَّة والمسيحيَّة على بساط البحث، وصارت تُشَرَّح، وتُدْرَسُ دراسة موضوعيَّة علْميَّة، تعتمد على العلم اللُّغوي لدراسة النُّصُوص، وعلى مُكْتَشَفَات علْم الآثار، وبدأت تظهر نتائج تتَّفق وتنسجم مع تلك الحقيقة التي قالها الإسلام مُنْذُ أكثر من ألف عام؛ من أنَّ الكُتُب المُقدَّسة التي بأيدي اليهُود والنّصارى تتضمَّن المُنَزَّل الأصيل والدّخيل المُضاف، وبالتَّالي؛ تتضمَّن الحقَّ والخُرافة، والتّاريخ والأُسطُورة.

لكنْ؛ أنْ يأتي مثل هذا الإقرار على لسان مُحقِّقَيْن يهُوديَّيْن: أحدهما إسرائيلي، والآخر أمريكي، صاحبَيْ خبرة طويلة في التّنقيبات الآثاريَّة وعلْم الآثار، فإنَّ هذا - بلا شكٍّ - يُعطي لإقرارهما وزناً كبيراً، لا يُعادله شيء؛ لأنَّ شائبة التّحامل والإغراض بريئة منه تماماً.

ومن هُنا؛ تأتي أهمِّيَّة هذا الكتاب الذي قام بتأليفه رائدان من رُوَّاد علْم الآثار والتّحقيق في الكُتُب المُقدَّسة على ضوء المُكْتَشَفَات الآثاريَّة: الأوَّل: اليهُودي الإسرائيلي الدُّكتُور في علْم الآثار إسرائيل فنْكلشْتَايْن Israel Finkelstein رئيس قسم علْم الآثار في جامعة تل أبيب، ومُدير بعثة التّنقيب في موقع "مَجدُّو" Megiddo (أرمجدُّون القديمة)، وصاحب خبرة تُقارب الثّلاثين عاماً في الحفريَّات الآثاريَّة في أرض فلسطين المُحتلَّة، والثّاني: اليهُودي الأمريكي "نيل إشر سيلْبرْمَان" Neil Asher Silberman، مُؤلِّف سلسلة الكُتُب النّاجحة والمُثيرة عن الأبعاد السّياسيَّة والثّقافيَّة لعلْم الآثار. قدَّم المُؤلِّفان في كتابهما الذي سمَّياه: "The Bible Unearthed" - وترجمناه بعبارة: "التّوراة اليهُوديَّة (العبْريَّة) مَكْشُوفَةٌ على حقيقَتها" - دراسة نَقْديَّة مُفصَّلة للرّوايات والقَصَص التّاريخيَّة التّوراتيَّة، التي تتحدَّث عن نشأة شعب إسرائيل، وقيام دُوَيلةٍ له في جُزء من أرض فلسطين قبل حوالي ألف عام من ولادة المسيح،

مُسْتَنِدَيْن لنتائج العشرات من أعمال التّنقيب والحفريّات الآثاريّة في أرض فلسطين، ومصر، والأُردُن، ولُبْنان، ليُقدِّما فَهْماً وتصوُّراً جديداً جريئاً عن فترة الحُكْم اليهُودي القصيرة تلك، بالإضافة إلى رؤية جديدة بشأن القَصَص التّاريخيَّة التّوراتيَّة الأساسيَّة المشهورة.

وكان كتابهما مثيراً جداً، واستفزازياً لليهُود؛ لأنّه يتحدّى الفكرة السّائدة لدى عامّتهم بأنّ التّوراة (العبْريّة)، أو الكتاب المُقدّس العبْري Hebrew Bible، هُو كلمة الله التي دُونها رجال ومُؤلّفون مُلْهَمُون من الله؛ حيثُ أَظْهَرَ الكتابُ ـ بشكْل واضح ـ أنّ التّوراة العبْريّة ـ بشكْلها الحالي ـ كان قد كَتَبَهَا كَهَنَةُ يهُود في عهد حكْم الملك المُستقيم "يُوشيّا" ملك يهُوذا في القرن السّابع قبل الميلاد؛ أيْ بعد فترة طويلة من الزّمن، الذي يُفْتَرَض أنّها أُنْزلَت فيه، في مُحاولة بُطُوليّة أخيرة من قبَل بعض كَهَنَة دولة يهُوذا الجنوبيّة الصّغيرة لإبقاء إيمانهم حيّاً، بعد فناء المَمْلَكَة الأغنى والأكبر لإسرائيل في الشّمال، وأنّهم أوْرَدُوا فيها ما يُحقّق أغراضاً دينيّة إصلاحيّة مُعيّنة، ويخدم الطُّمُوحات الإقليميّة للملك "يُوشيّا"، الذي كان يسعى لتوحيد شعب إسرائيل، وضَمّ أراضي مَمْلَكَة إسرائيل الشّماليّة السّابقة ـ التي فتحها الآشُوريُّون ـ إلى مَمْلَكَته الجنوبيّة.

يُركّز هذا الكتاب ـ إذنْ ـ على التّحقيق في ما تُخبرنا به نتائج وبيانات علْم الآثار عن التّوراة العبْريّة ومُحتوياتها، فيبدأ كُلُّ فصلٍ من فُصُوله بعرض الرّواية التّوراتيّة، ثُمّ يُعقّب بذكْر ما تقترحه المُكْتَشَفَات الآثاريّة؛ ليقارنَ بَيْنها وبَيْن الرّواية التّوراتيّة، فَتُفْصَل الأُسطُورةُ عن الحقيقة التّاريخيّة.

وكانت النّتائج التي توصّل إليها المُؤلّفان العلْمانيّان في هذا الكتاب طعنةً في صميم المُعتقدات اليهُوديّة التّقليديّة، وتحطيماً للرُّمُوز الدّينيّة التّقليديّة لليهُود؛ حيثُ استخدم الباحثان نتائج الأبحاث الآثاريّة الأخيرة لتقديم صُورة جديدة بشَكْل مُثير ومُحطّم لكُلّ الأفكار المشهورة المعروفة حول إسرائيل القديمة وجيرانها.

لقد استدلاّ بأنّ الأدلّة الحاسمة (أو نَقْص الأدلّة المُؤيّدة) الذي تُفيده الحفريّات والتّنقيبات الآثاريّة في كُلٍّ من فلسطين، ومصر، والأُردُن، ولُبْنان، تقترح أنّ العديد من القَصَص الأكثر شُهرة في التّوراة العبْريّة ـ رحلات الآباء: إبراهيم، وإسحق، ويعقُوب، الخُرُوج الجماعي من

مصر، غزو بني إسرائيل بقيادة يشُوع (تلميذ مُوسى) لأرض كَنْعَان، الحُكْم المَلَكي المُتَّحد لداود وفُتُوحاته في كَنْعَان، وإمبراطُوريَّة سُلَيْمَان الواسعة - إنَّما تعكس - في الواقع - عالَمَ المؤلِّفَيْن التَّالين للتّوراة بشَكْلها النّهائي، بَدَلاً من عكسها لحقائق تاريخيَّة أصيلة ودقيقة.

ويُمكن تلخيص الاستنتاجات التي ادَّعاها المُؤلِّفان كالتَّالي:

1 - ليس هُناك دليل علمي على الوُجُود الحقيقي لشخصيَّات مثل إبراهيم، أو أيٍّ من الآباء كإسحق، ويعقُوب، ورحلاتهم من أور، إلى حاران، إلى حبرون (الخليل)، والأمر نفسه بالنّسبة لشخصيَّة مُوسى، وقصَّة الخُرُوج الجماعي من مصر؛ والأمر نفسه بالنّسبة للفترة الكاملة للقُضَاة، والحُكْم المَلَكي المُتَّحد لداود وسُلَيْمَان. في الحقيقة؛ يُحاول المُؤلِّفان إثبات أنَّه من غير المُمكن علْمياً إثبات الكثير من كُلٍّ ما يتعلَّق بإسرائيل القديمة قبل القرن السّابع قبل الميلاد؛ أيْ حوالي عهد الملك "يُوشيَّا"، الذي كُتِبَتْ في عهده قصَّة التّوراة العبْريَّة بشَكْل يتناسب - بنَحْو فريد - مع هدف تقوية الإصلاح الدِّيني، وتحقيق الطُّمُوحات الإقليميَّة لدولة "يهُوذا" تحت حُكْم "يُوشيَّا".

2 - لا تُؤيِّد الأدلَّة الآثاريَّة رواية الخُرُوج الجماعي من مصر، بالشَّكل والأعداد والطّريقة التي تذكرها الرّواية التّوراتيَّة العبْريَّة، بل حتَّى لا يُوجد دليل علمي أكيد على وُجُود شخصيَّة مُوسى الموصوفة في التّوراة العبْريَّة، ولا على كُلٍّ قصَّة التَّجوُّل في البرِّيَّة، والعجل الذّهبي، والصُّعُود إلى سيناء. . . بل الأرجح - في نَظَرهما - أنَّه لم تكن هُناك أصلاً فترة عُبُوديَّة في مصر في تاريخ شعب إسرائيل[1].

---

(1) ممَّا يجدر التّنبيه إليه في هذا المقام أنَّ المُؤلِّفَيْن إنَّما يردَّان تلك القَصَص التّوراتيَّة نَظَراً لما تحتويه من تفاصيل عَدَديَّة أو تاريخيَّة أو جَغرافيَّة أو تفاصيل في أسماء أعلام أشخاص. . إلخ، لا تتناسب مع الزّمن المُفترض أنَّها أُلِّفت فيه، ولا مع الحقائق التّاريخيَّة التي أثبتها علْم الآثار، لكنَّ هذا لا يُتيح لهم إنكار أصل القَصَص من أساسها جُملة و تفصيلاً؛ إذْ قد تكون من أصل صحيح، ثُمَّ أقحمت فيها - مع الزّمن - تلك التفاصيل. أمَّا القُرآن؛ فإنَّه في روايته لتلك القَصَص لا يذكر أيَّ تفاصيل جَغرافيَّة أو عَدَديَّة أو تاريخيَّة مُحدَّدة أو أسماء أعلام. فليس فيه أيُّ شيء يتناقض مع المُعطيات الآثاريَّة. وقد بَحَثَ الطّبيب الجرَّاح الفرنسي "مُوريس بُوكاي" هذه النُّقطة في كتابه "التّوراة والإنجيل و القُرآن: دراسة الكُتُب المُقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة"، وتوصَّل إلى وُجُود تحريف وأخطاء في التّوراة و الإنجيل الحاليّين، بعكس القُرآن الذي لم يجد فيه أيّ خطأ تاريخي أو علْمي واستدلَّ بذلك على نُبُوَّة مُحمَّد وكون القُرآن كتاباً مُنزلاً من عند الله ليس لخُلُوِّه من أيٍّ خطأ علْمي أو تاريخي أو جَغرافي فحسب، بل لاحتوائه إشارات لأمور علميَّة لم تُكتَشَف إلاَّ حديثاً.

3 ـ لم يقم "يشُوع بن نُون" بحَمْلَة غزواتٍ مُوحَّدةٍ لفَتْح أرض كَنْعَان ، بل العبْرانيُّون (اليهُود)/ الإسرائيليُّون ، إمَّا كانوا مُهاجرين انتقلوا من مصر إلى كَنْعَان ، أو كانوا مجموعة ثقافيَّة غامضة ، أو طبقة من النّاس من أهالي كَنْعَان نفسها ، ليس لها أصلٌ ، أو جدٌّ واحدٌ تحدَّرَتْ منه ، ففكرة وُجُود عرْق خاصٌ باسم بني إسرائيل فكرة مُخترَعَة في رأي الكاتبَيْن ، وأنَّ العبْرانيِّين/ الإسرائيليِّين إنَّما ارتفع شأنهم في ظُرُوف مُعيَّنة بشَكْل تدريجي ، حتَّى وَصَلُوا للهَيْمَنَة على جُزء من أرض فلسطين لفترة من الزّمن ، أمَّا فُتُوحات كَنْعَان المذكورة في أسفار التّوراة ، مثل سفْر يشُوع والقُضَاة . . ؛ فهي ليست حقيقيَّة ، بل كُتبَتْ فيما بعد ؛ لتبرير فُتُوحات "يُوشيَّا" الشّماليَّة .

4 ـ داود وسُلَيْمَان وُجدَا تاريخيَّاً ، لكنَّهما كانا أقرب إلى رئيسَيْ عشيرة منهما إلى مَلكَيْن بالمعنى الحقيقي للكلمة ، ولم يقوما بأيٍّ من الأعمال العظيمة المرويَّة في التّوراة العبْريَّة ، فلا داود فَتَحَ كَنْعَان ، ولا ما جاورها ، ولم يقُمْ بفُتُوحات أصلاً ، بل كانت دولته ـ إنْ صحَّ التّعبير ـ مجموعة قُرَى جبليَّة مُنعزلة نائية ، لا وزن لها ، ولا يُؤبه بها في منطقة التّلال والمُرتفعات الوُسْطَى في أرض كَنْعَان ، كما أنَّ سُلَيْمَان لم يبنِ أيَّ هيكل (معبدٍ) هائل ، وحتَّى المعبد العادي الذي بناه انهدم كُلِّيَّاً في الغزوات المُتلاحقة ضدَّ أُورشليم (القُدْس) ، وما تبعها من هَدْمٍ وحَرْقٍ مُحَّت آثاره تماماً ، لا سيما أنَّها اختلطت بخرائب الأبنية المُتعدِّدة التي بُنيَتْ ـ فيما بعد ـ في مكانه ، وخُرِّبت ـ أيضاً ـ عدَّة مرَّات ، وصار الكُلُّ أثراً بعد عَيْن .

فالأوصاف التي نجدها في التّوراة العبْريَّة للملك داود وإمبراطُوريَّة سُلَيْمَان ، وفُتُوحاتهما ، وقُصُورهما كُلّها مُبالغات لا أساس تاريخي علْمي لها . أمَّا القُصُور التي وُجدت في التّنقيبات الأثريَّة ، ونُسبت إلى سُلَيْمَان ؛ فهي ـ في الواقع ـ لمُلُوك إسرائيل الفَسَقَة المُرتدُّون إلى الوَثَنيَّة من بيت "عُمْري" .

5 ـ لم يكن هُناك دين يهُوديٌّ مُوحَّد في أغلب تاريخ يهُودا / إسرائيل القديمة ، بل كانت هُناك في مناطقهما المُختلفة ، خاصَّة الرّيفيَّة منها ، آلهةٌ أُخرى عُبدَت سويَّةً مع يَهْوَه .

وبعد؛

فَغَنيٌّ عن القول، أنَّنا كَمُسلمين، لا نشكُّ، ولا نرتاب ذرَّةَ رَيْبٍ في حقيقة قَصَص أبي الأنبياء إبراهيم خليل الرَّحمن، وابنَيْه إسماعيل وإسحق، وقصَّة يعقُوب (إسرائيل)، وأولاده الأسباط الاثنَيْ عشر، وقصَّة يُوسُف، وقصَّة استعباد بني إسرائيل في مصر، وقَتْل أبنائهم، واستحياء نسائهم، ثُمَّ إنقاذ مُوسى لهم، وخُرُوجه بهم عبْر البحر، وإغراق فرعون وآله بمُعجزات صَنَعَهَا اللهُ القدير، وتكليم الله تعالى لموسى على الجبل، وإنزال الوصايا والشَّريعة؛ أيْ التَّوراة، واختيار الله لبني إسرائيل، وتفضيلهم على الشُّعُوب الوَثَنيَّة المُجاورة، وأمرهم بالدُّخُول للأرض المُقدَّسة التي كَتَبَهَا الله لهم، واجتباء الله تعالى لداود، وإنزاله الزَّبور عليه، ومنحه سُلَيْمَان قُوَّة ومُلكاً عظيمَيْن. وينطلق إيماننا بهذه الحقائق ممَّا أخبرنا به القُرآن الكريم، الذي قامت كُلُّ الدَّلائل العلْميَّة والعَقْليَّة والوُجدانيَّة على أنَّه الوثيقة الإلهيَّة النَّقيَّة الوحيدة التي حفظها الله تعالى كما أُنزلت، وبحفظها حُفظَ ذلك التُّراث النَّبويّ، الذي لولاه لما كان هُناك سبيل علْمي آخر لإثبات تفاصيل تلك الحقائق:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القَصَص/ 43 ـ 46.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ يُوسُف/ 102.

وبالتَّالي؛ فمن البديهي أنَّنا لا نتَّفق مع المُؤلِّفَيْن في كثيرٍ من آرائهما واستنباطاتهما التي لا يخفى على القارئ أنَّ فيها الكثير من التَّحكُّم والمزاجيَّة، أو بتعبير أدقّ؛ التَّأثُّر بالخلفيَّة الإيديُولُوجيَّة المادِّيَّة التي تنفي ـ جُملة وتفصيلاً ـ عالم الغيب وما وراء الطَّبيعة المادِّيَّة، بل حتَّى المُؤلِّفَيْن نفسَيْهما لا يُخفيان أنَّ كثيراً من اقتراحاتهما هي مُجرَّد تخمينات واحتمالات، لذلك

نجدهما يُكثران جداً من استعمال ألفاظ مثل: "على ما يبدو"، "والظّاهر أنَّه"، "يبدو أنَّه"، "احتمالاً"، "في الغالب" . . . هذا من جهة، ومن جهة أُخرى؛ فإنَّ عدم العثُور على أثر ماديٍّ على شيء لا يكفي وحده دليلاً على القَطْع بنَفْي وُجُود ذلك الشّيء، وإنَّما أقصى ما يُفيده أنَّه ليس لدينا الدّليل المادِّي المرئيّ لإثباته حالياً.

إذنْ؛ فعلى القارئ لهذا الكتاب ـ كما عليه عند قراءته لأيّ كتاب ـ أنْ يُحكِّمَ عقْله، ويقرأ بحَذَرٍ وتنبُّه، ويُميِّز ـ دائماً ـ بَيْن الدّليل العلْمي، والآراء، وَالفَرَضيَّات القابلة للنَّقْض، أو الإثبات. .

إنَّ ما يُفيدنا من هذا الكتاب هُو بُطلان الدّعاوي الصّهيونيَّة في أرض فلسطين؛ استناداً لتواجدهم القديم فيها، أو أنَّها أرض الميعاد، على لسان اثنَيْن من كبار عُلمائهم أنفسهم، اللَّذَيْن أكّدا أنَّ فلسطين كانت ـ وظلَّت دائماً ـ مسكونة من عدَّة شُعُوب، تتالوا عليها، أو تجاوروا فيها: اليبوسيُّون، الكَنْعَانيُّون، الفلسطينيُّون، العماليق، العَرَب. . وأنَّ الإسرائيليِّيْن لم يكونوا إلاَّ مجموعة هامشيَّة فوضويَّة نَمَتْ وسيطرت لفترة قصيرة على منطقة محدودة من المُرتفعات والتّلال المركزيَّة في فلسطين، في حين كانت بقيَّة فلسطين مسكونة من الكَنْعَانيِّيْن والفلسطينيِّيْن، وغيرهم، وأنْ لا صحَّة لتلك الفُتُوحات الإقليميَّة والتَّوسُّعيَّة المنسوبة لداود وسُلَيْمَان، ولا لبناء ذلك الهيكل الكبير المزعوم.

أمَّا كون الله وَعَدَ بني إسرائيل تلك الأرض؛ فإنَّ هذا الوعد كان مشروطاً باتِّباع أنبيائه، والعمل بوصاياه، ومادام أنَّ اليهُود كذَّبوا أنبياءه، وقتلوا عدداً منهم، وخانوا وصاياه، وحرَّفوا دينه، وكذَّبوا بآخر نبيَّيْن عظيمَيْن كبيرَيْن: عيسى المسيح، ومُحمَّد المُصطفى، عليهما الصّلاة والسّلام، بل حاولوا ـ أيضاً ـ قَتْلَهُمَا، فما عادوا مُستحقِّين لهذا الوعد على الإطلاق، بل أصبح الوعد لمَنْ أصغى إلى كلمة الله، واتَّبع كُلَّ أنبيائه؛ وهُم المُسلمون، فالله عادل، وليس عنده مُحاباة أبديَّة لشعب من الشُّعُوب، بل شعبه وأحبَّاؤه هُم المُتَّبعون لوصاياه وأوامره، المُصدِّقون بجميع أنبيائه. . ففلسطين أمانة الله لشعب الله: المُسلمون المُؤمنُون المُوحِّدون المُصدِّقون بجميع أنبيائه ورُسُله؛ لا سيما خاتمهم وأفضلهم سيِّدنا مُحمَّد المبعوث رحمة للعالمين، والإسلام ـ اليوم ـ هُو الدِّين الوحيد الذي يعترف بجميع الأنبياء، ولا يُكذِّب

بأحد منهم، وهُو الوحيد الذي يستوعب سائر الأديان، ويعترف بوُجُودها، ويأمر باحترام أتباعها، والبرّ بأهلها، والتّسامح معهم، ويُؤمن بحُرِّيَّة العقيدة، وأنْ لا إكراه في الدِّين، بعكس الأديان المُحرَّفة، التي تَضطهد مُخالفيها، وتسعى لاستئصالهم، وطَرْدهم من الأرض.

بهذا أختتم هذه المُقدِّمة؛ آملاً أنْ يُعيد الله العزَّة والمجد للأُمَّة الوَسَط: أُمَّة الإسلام، ويُعيد الأراضي والحُقُوق المُغتصبة لأصحابها في فلسطين وسائر بُلدان المُسلمين، إنَّه وليّ الإجابة، القويّ، المتين.

سعد رُستُم

مُلاحظة: *لتمييز الحواشي التي في أصل الكتاب عن الحواشي التي أضافها راقم السُّطور (المُتَرْجِم) تمَّ تذييل الحواشي التي لمُؤلِّفيْ الكتاب بعبارة (المُؤلِّف)، والحواشي التي أضفتُهَا من عندي بعبارة (المُتَرْجِم).*

شُكْرٌ وتقديرٌ

وُلِدَتْ فكرة هذا الكتاب قبل ثمانية سنوات تقريباً، أثناء عُطلة نهاية أُسبُوعٍ صيفيَّة هادئة مع عائلاتنا على ساحل "مين" Main [1]. أخذ النّقاش حول الثّقة التّاريخيَّة للكتاب المُقدَّس (العبْريّ)، يجذب - من جديد - انتباهَ الكثيرين خارج الدّوائر العلْميَّة، وأدركنا أنَّ هُناك حاجة لكتابٍ جديدٍ ومُحَدَّث حول هذا الموضوع، يُقَدَّم للقارئين العُمُوميِّين (غير المُتخصِّصين)، سنعرض فيه ما نعتقد أنَّه أدلّةٌ آثاريَّة وتاريخيَّة مُلْزِمَةٌ لفَهْمٍ جديدٍ لبُرُوز ونشأة إسرائيل القديمة، وظُهُور نُصُوصها التّاريخيَّة المُقدَّسة.

في السّنوات البَيْنيَّة، ازدادت حدَّة معركة علْم الآثاريَّة حول التّوراة. وتحوَّلت - في بعض الأزمنة والأمكنة - إلى هجمات شخصيَّة واتِّهامات ذات دوافعَ سياسيَّة خفيَّة. هل حَدَثَ الخُرُوج الجماعيُّ (لبني إسرائيل من مصر)؟ هل كان هُناك غزوٌ لكَنْعَان؟ هل حكَمَ داود وسُلَيْمَان - حقيقةً - إمبراطُوريَّة واسعةً؟ أثارت مثل هذه التّساؤلات انتباه صُحُفيِّين ومُعلِّقين في جميع أنحاء العالم.

وفي أغلب الأحيان؛ ابتعدت المُناقشة العامَّة لكُلِّ هذه التّساؤلات بعيداً عن حُدُود علْم الآثار الأكاديمي والنَّقْد العلمي التّوراتي، إلى حقل النّزاعات العقائديَّة الدِّينيَّة واللاَّهُوتيَّة المحمومة.

على الرّغم من العواطف التي يُثيرها البحث في مثل هذا الموضوع، فإنَّنا نعتقد أنَّ إعادة تقييم الاكتشافات، النّاجمة عن التّنقيبات الأخيرة، والاكتشافات المُستمرَّة، النّاجمة من أعمال الحفر الجديدة، قد أوضحت للعُلماء - بشكْلٍ بَيِّنٍ - أنَّ عليهم أنْ يُقاربوا مسائل أُصُول التّوراة، أو الكتاب المُقدَّس (العبْري)، وأُصُول المُجتمع الإسرائيلي القديم، من منظورٍ جديدٍ تماماً.

---

(1) "مين" Main: ولاية أمريكيَّة تقع في أقصى شمال السّاحل الشّرقي للولايات المُتّحدة على الحُدُود مع "كَنَدا". (المُترجم)

في الفُصُول التّالية ، سنُقدِّم أدلَّةً لتعزيز ذلك الزَّعْم ، ولإعادة بناء تاريخٍ مُختلف جداً لإسرائيل القديمة . وعلى القُرَّاء أنْ يحكموا لأنفسهم إذا تلاءمَتْ إعادة بنائنا للتّاريخ ، مع الأدلَّة المذكورة .

ولكنْ ؛ قبل أنْ نبدأ ، يجب أنْ نُشير إلى بضعة موادّ بخُصُوص المصادر والتّرجمات الصَّوتيَّة . لقد استقينا كُلَّ اقتباساتنا المُباشرة من النَّصّ التّوراتي من نُسخة "التّرجمة القياسيَّة المُراجَعَة للكتاب المُقدَّس العبْري" Revised Standard Version of the Hebrew Bible . وبالرّغم من أنَّنا اتَّبعْنا تلك التّرجمة القياسيَّة المُراجعة ، إلاَّ أننا في إحالاتنا لأسماء إله إسرائيل ، ضمن الاقتباسات ، استخدمنا في نُصُوصنا الاسم "يَهْوَه" المُؤلَّف من أربعة حُرُوف YHWH للإشارة إلى الاسم الواضح للَّه . أمَّا في النُّسخة القياسيَّة المُراجَعَة ؛ فإنَّ كلمة يَهْوَه عُبِّر عنها بكلمة "الرَّبّ" Lord ، بَيْنما كلمتا إيلوهيم Elohim ، أو إيلوهي Elohei ؛ فقد تُرْجمَت بكلمة "الله . "

أمَّا بالنّسبة للجدول التّاريخي للأحداث التّوراتيَّة ، بكُلِّ شُكُوكه ومطبَّاته (مخاطره) ، فقد قرَّرنا أنَّ الجَمْعَ بَيْن عدَّة أنظمة تاريخٍ سيُزَوِّدنا بأفضل مُوافقة أو تطابق مع الحقائق الآثاريَّة البارزة : بالنّسبة للفترة من بداية الحُكْم المَلَكي لإسرائيل إلى وقت "آخاب" Ahab ، اتَّبَعْنا التّواريخ المذكورة في كتاب "الجدول الزّمني لمُلُوك إسرائيل ويهُوذا" The Chronology of the Kings of Israel and Judah ، طبع ليدن ، 1996) لمُؤلِّفه : "غيرشون غاليل" Gershon Galil . أمَّا بالنّسبة لتواريخ العُهُود اللاَّحقة لمُلُوك إسرائيل ويهُودا ؛ فقد اتَّبَعْنا مقالة "مُورْدخاي كُوجَن" Mordecai Cogan حول "تاريخ الأحداث" في قاموس مُرتَكَز (أو سَنَد) الكتاب المُقدَّس Anchor Bible Dictionary (طبع نيُو يُورك ، 1992) .

لا شكَّ أنَّه قد بقيت العديد من الشُّكُوك في تلك الجداول الزّمنيَّة التّاريخيَّة (كالتي تتعلَّق بالتّواريخ الدّقيقة للمُلُوك الأوائل ، أو اشتراك أكثر من وَصيّ على العرش في الحُكْم بنَحْو مُتزامن ، أو التّناقضات ضمن المادَّة التّوراتيَّة) ، لكنَّنا نشعر أنَّه ـ بشَكْل عامٍّ ، بالنّسبة لأغراض مثل هذا الكتاب العامّ ـ فإنَّ ذلك المُخطَّط الزّمني التّاريخي يُعَدُّ موثوقاً .

قدَّمَت التّنقيبات المُجـدَّدة فـي تَـلّ "مَجـدُّو" Megiddo ـ التـي قـامت بـها جامعـة تـلّ أبيـب بالمُشاركة مع جامعة "ولاية بنسيلفانيا"[1] ـ فُرصَة فريدةً للتّفكير، والتّأمُّل مليّاً، ومُناقشة المادَّة التي يحتويها هـذا الكتـاب، مـع الزُّمـلاء. لـذا؛ نـودُّ أنْ نتقـدَّم بشُكرنا الخاصّ إلـى المُديريـن المُشاركين الآخرين في بعثة "مَجدُّو" الآثاريَّة: الأساتذة ديفيـد أوسّـيشكين David Ussishkin، و"باروخ هالبِرْن" Baruch Halpern، وإلى العديد من أعضاء فريق ومُوظَّفي بعثة "مَجـدُّو"، الذين لعبوا ـ على مرّ السّنين ـ مثل هذا الدّور المُهمّ فـي التّنقيـب والعمـل العلْمـي الأوسـع لعلْـم الآثار التّوراتي.

قـام بـالبحث والكتابـة الأوَّليَّـة لـهذا الكتـاب كُـلٌّ مـن "إسـرائيل فنْكلْشْـتَايْن" Israel Finkelstein أثناء سنة تفرُّغه في باريس، و"نيل أشر سيلْبرْمان" Neil Asher Silberman فـي مدينـة "نيـو هفـن" New Haven[2]. وقـد سـاعدَ الصّديـق الزّميـل البرُوفسُـور "بيـير دي ميروشدجي" Pierre de Miroschedji في جَعْل أوقاتنا في باريس مُثمرةً ومُمتعةً. أثنـاء كتابـة هذا الكتاب، قدَّمت لنا كُلٌّ من مكتبة معهد علْم الآثار في جامعـة تـلّ أبيـب؛ ومكتبـة المعـهد الكاثُوليكي، ومكتبة مركز علْم الآثار الشّرقي في السُّوربُون، ومكتبة قسم الدّراسـات السّـاميَّة في "معهد فرنسا" في باريس؛ وفي جامعة "ييـل" Yale[3]: المكتبـة التّذكاريَّـة المُمتـازة، ومكتبـة "مدرسة ييل للاّهُوت"، تسهيلات مُمتازة للبحث.

كما نُعرب عن تقديرنا العميق لـ "جُوديث ديكل" Judith Dekel من معهد علْم الآثار في جامعة تلّ أبيب، الذي هيَّأ الخرائط، والمُخطَّطات، والرُّسُوم التي تظهر في هذا الكتاب.

---

(1) بنسيلفانيا Pennsylvania: ولايـة أمريكيَّـة شـرق الولايـات المُتّحـدة، تقـع ـ مُباشـرة ـ غـرب ولايـة نيُـو يُـورك، عاصمتها مدينة "فيلاديلفيا". (المُترجم).

(2) "نيو هفن" New Haven: ميناءٌ جنوبَ ولاية "كونكْتيـكَت" Connecticut الأمريكيَّـة التـي تقـع شـمال السّـاحل الشّرقي للوَلايات المُتّحدة بين ولايَتَيْ ماساتشوسيتَ و نيُويُورك. (المُترجم).

(3) إحدى أشهر الجامعات الأمريكيَّة العريقة في ولاية "كونكْتيكَت" Connecticut شـمال شـرق الولايـات المُتّحـدة، يعود تاريخ تأسيسها لعام 1701 م. وسُمِّيت على اسم التّاجر البريطاني المُحسن "إيليهو ييل" Elihu Yale الـذي تـبرَّع بمصروفها. (المُترجم).

أكْرَمَنا الأساتذة "باروخ هالبرن" Baruch Halpern ، و"نداف نعمان" Nadav Naaman ، وجاك ساسُّون Jack Sasson ، وديفيد أوسِّيشكين David Ussishkin بنصائحهم ومعرفتهم. لقد ساعدتْنا كثيراً تلك الأسئلة، وإجاباتها التي كُنَّا نقوم بها من خلال مُكالمات هاتفيَّة في آخر اللّيل مع "نداف نعمان" Nadav Naaman ، و"باروخ هالبرن" Baruch Halpern ، اللّذَيْن ساعدانا على حَلّ المشاكل المُعقَّدة لتنقيحات النُّصُوص التّوراتيَّة والتّاريخ التّوراتي. وقد قرأ "باروخ" وناقش معنا - أيضاً - المُسوَّدات الأوَّليَّة لعديد من فُصُول الكتاب. إنَّنا نُعبِّر عن شُكرنا لأُولئك الأساتذة، ولجميع الأصدقاء والزُّملاء الآخرين، الذين استشرناهُم، على الرّغم من أنَّنا نعترف أنَّ المسؤوليَّة عن النّتيجة النّهائيَّة المطرُوحة في الكتاب تقع بكاملها على عاتقنا فقط.

في نيُو يُورك، أرْشَدَ وكيلنا الأدبي "كارول مان" Carol Mann المشروع من فكرته الابتدائيَّة حتَّى النَّشر. في المطبعة الحُرَّة، نودُّ أنْ نشكر المُحرِّر المُساعد "دانْييل فريدبرغ" Daniel Freedberg لكفاءته ومُساعدته المُستمرَّة في كُلّ مراحل العمل. كما كان المُحرِّر الكبير بروس نيكولز Bruce Nichols مُؤيِّداً مُتحمِّساً لا يعرف الكَلالَ، لتأليف هذا الكتاب، مُنْذُ البداية، بفَضْل بصيرته النّافذة ومهارته التّحريريَّة، تحسَّنت مخطوطتُنا النّاشئة بنَحْوٍ لا يُمكن تقديره.

و أخيراً؛ يستحقُّ أفرادُ أُسْرَتَيْنا - "جوييل" Joelle و"آدار" Adar وسارَة فنْكلْشْتَايْن، و"إلين" Ellen و"مايا" Maya سيلْبرْمان سهماً عظيماً من التّقدير والثّناء، لحُبِّهنَّ، وصبرهنَّ، واستعدادهنَّ بكُلّ رحابة صدرٍ للتَّخلّي عن العديد من سفْرات عُطلة نهاية الأُسبُوع والمُناسبات العائليَّة أثناء تحرير صفحات هذا الكتاب. لا يسعنا إلاَّ أنْ نتمنَّى أنْ تُبرِّرَ نتيجة جُهُودنا، ثقتهنَّ فينا، وفي فكرتنا عن كتابٍ حول علْم الآثار والتّوراة، فكرةٌ أخذت شكلها - لأوَّل مرَّةٍ - في حُضُورهنَّ، قبل بضع سنوات فقط.

I. F.إسرائيل فنْكلْشْتَايْن
N. A. S.نيل أشر سيلْبرْمان

تمهيد

في أيَّام الملك "يُوشيّا":

لم يكن العالَم الذي خُلقَت فيه "التّوراة" Bible (أو الكتاب المُقدَّس)[1] عالماً أسطُوريّاً لمُدُن عظيمةٍ وأبطال قدّيسين، وإنَّما كان مَمْلَكَة واقعيَّة صغيرة جداً لأُناس كافحوا من أجل مُستقبلهم ضدَّ جميع المخاوف الإنسانيَّة، من الحرب، والفاقة، والظُّلم، والمرض، والمجاعة، والجفاف. لم تكن تلك القصَّة التّاريخيَّة التي ترويها "التّوراة"، بدءاً من لقاء إبراهيم مع الله، ورحلته إلى كَنْعَان، إلى تخليص مُوسى لبني إسرائيل من العُبُوديَّة، وحتَّى صُعُود وانهيار مَمْلَكَتَيْ إسرائيل ويهُوذا، وحياً إعجازيّاً، بل كانت نتاجاً رائعاً للخيال الإنساني الخصب. لقد تمَّ تصوُّرها - حسبما نستنبطه من الاكتشافات الأثريَّة الأخيرة - على مدى جيلَيْن أو ثلاثة أجيال، قبل حوالي ستَّة وعشرين قرناً من الآن.

---

(1) التّرجمة الأدقّ لكلمة ال Bible هي "الكتاب المُقدَّس"، وليس "التّوراة"؛ لأنَّ كلمة Bible أصلها "بيبلوس" اليُونانيَّة، وتعني الكتاب، وهي كلمة أصبحت عَلَماً على "الكتاب المُقدَّس" لدى اليهود والمسيحيّين، والذي يضمُّ أسفار العهد القديم والعهد الجديد (بالنسبة للمسيحيّين) أو أسفار العهد القديم - فقط - بالنسبة لليهُود، لكنَّ بعض المُترجمين يُترجمون كلمة Bible بـ "التّوراة" من باب تسمية الشيء باسم أهمِّ جُزء منه، لأنَّ "التوراة" - في الواقع - هي الجُزء الأوَّل والأهمّ من كتاب ال Bible الأوسع. وسألجأ لاستخدام اللّفظتَيْن على نحوٍ تبادلي في ترجمتي لكلمة ال Bible حسبما يقتضيه المقام.

هذا، ومن الجدير بالذّكر أنَّ التّوراة هُنا هي غير التّوراة التي ترد في القُرآن الكريم، والتي تُشير - فقط - إلى "الشّريعة" التي أنزلها الله - تعالى - على النّبي مُوسى؛ كليم الله عليه السّلام، والتي تتضمَّن الوصايا العشر، وأحكام الشّريعة المُوسويَّة؛ كأحكام العبادات والقرابين والمُحرَّمات والمُعاملات والحُدُود والدّيات . . . إلخ، والتي كانت موجودة بأيدي يهُود المدينة زمن بعثة النّبي عليه الصّلاة والسّلام. ويُؤكّد هذا أنَّ المعنى اللُّغوي - بالعبريَّة - للتّوراة: هُو النّاموس أو الشّريعة، ثم صارت علماً للشّريعة المُوسويَّة. أمَّا "التّوراة" الاصطلاحيَّة - عند اليهُود والنصارى -؛ فلها مفهوم آخر؛ حيثُ دُرج إطلاقها على الأسفار (أيْ الفُصُول) الخمسة الأولى من "الكتاب المُقدَّس" Bible؛ وهي: سفر التّكوين، والخُرُوج، و اللاويّين (أو الأحبار)، و العَدَد، والتّثنية (أو تثنية الاشتراع). (المُترجم).

كان مسقط رأس تلك القصَّة مَمْلَكَة "يـهُوذا"، التـي كـانت عبـارة عـن منطقـة حلَّـت فيـها ـ بشَكْل مُتناثر ـ مجموعات من الرُّعاة والمُزارعين، يخضعون لحُكْم مدينة مَلَكيَّـة خـارج الطّريـق، توطَّنت ـ بدُون ثبات ـ في قلب منطقة التّلال، على الحوافّ الضَّيِّقة لوُديان صخريَّة حادَّة.

خلال بضعة عُقُود استثنائيَّة من التَّخمُّر الرُّوحي والهَيَجَان السّياسـي نحـو نهايـة القـرن السّابع قبل الميلاد؛ قام في مَمْلَكَة يهُوذا تحالفٌ، غير مُؤكَّد، من القُضَاة، والكُتَّاب، والكَهَنَة، والفلاَّحين، وجاء الأنبياء معهم، ليُنْشئوا حَرَكَة جديـدة. كـان فـي لُـبِّ تلـك الحَرَكَـة، ذلـك الكتاب المُقدَّس الذي تضمَّن عبقريَّة أدبيَّة ورُوحيَّة فذَّةً. كانت روايته قصَّة مَلْحميَّة نُسجت مـن مجموعة غنيَّة، بشَكْل مُدهش، من الكتابات التّاريخيَّة، والمُذكّرات، والأسـاطير، والقَصَـص الشّعبيَّة، والحكايات، والدّعايات المَلَكيَّة، والنُّبُوءات، والشّعر القديم. خضعت تلـك القطعـة الأدبيَّة النّادرة ـ التي تكوَّن جُزء منها من نُصُوص ومصادر أصليَّـة حقيقيَّـة، والجُزء الآخر كـان تأليفاً جديداً ـ خضعـت مـن جديـد لعمليَّات تنقيحٍ وتحريرٍ وتفصيلٍ أُخرى؛ لتُصبح مرتكـزاً رُوحيّاً ليس لأحفاد وذُرِّيَّة أهالي يهُوذا فحسب، ولكنَّ لمُجتمعات وجاليات مُتنـاثرة فـي جميـع أنحاء العالم.

وُلد الجوهر أو اللُّبُّ التّاريخي للكتـاب المُقدَّس (التّوراة) فـي نشـاط الشّـوارع المُزدحمـة لأُورشـليم (القُـدْس)، فـي بـلاط قَصْر الأُسرة المالكة من آل داود، فـي هيكـل (معبـد) إلـه إسرائيل. وفـي تنـاقض شـديد مـع المعـابد الأُخرى القديمة التـي لـم تكـن تُحْصَـى فـي الشّـرق الأدنى، والتي كانت معروفة باستعدادها العالمي لإقامة علاقات دوليَّة مع المعابد المُجاورة، مـن خلال تعظيم آلهة الحُلفاء ورُمُوزهم الدِّينيَّة، وقف هيكل (معبد) أُورشـليم (القُـدْس)، بشَـكْل مُصرٍّ، وحده. وكَرَدِّ فعْلٍ علـى سُرعة ووسعة مجـال التَّغـيُّرات التـي كـانت تـرد إلـى مَمْلَكَـة "يهُوذا" من الخارج، أعلن زُعماء القرن السّابع ق.م، فـي أُورشـليم (القُـدْس)، برئاسـة الملـك يُوشيَّا (السّليل السّادس عشر للملك داود) أنَّ جميع آثار العبادة الأجنبيَّة تُعتبر لَعْنَة، وأنَّها ـ في الحقيقـة ـ السّـبب الكـامن وراء الشّـقاء الـذي تُعـاني منـه مَمْلَكَـة يـهُوذا الحاليَّـة. وانطلقـوا فـي حَرَكَتهم هذه بحَمْلَة تطهيريَّة دينيَّة نشطة في الرِّيف، تُنادي بدمار مراكز العبادة الرِّيفيَّـة، مُعلنـةً أنَّـها مصـدر للشَّـرِّ. ومُنْـذُ ذلـك الحيـن، أصبـح هيكـل (معبـد) أُورشـليم (القُـدْس)، بحَرَمـه

الدّاخلي، ومَذْبَحه، وفناءاته المُحيطة في قمَّة المدينة، المكان الشَّرْعي الوحيد للعبادة لشعب إسرائيل. وفي ذلك الإبداع، وُلِدَ التّوحيد العصري أو الحديث[1]. وفي الوقت نفسه، ارتفعت طُمُوحات زُعماء يهُوذا السّياسيَّة، الذين طمحوا لجَعْل هيكل (معبد) أُورشليم والقَصْر المَلَكي فيها، مركز مَمْلَكَة إسرائيليَّة واسعة، كتحقيق لإسرائيل المُتَّحدة الأُسطُوريَّة لداود وسُلَيْمَان.

كم هُو غريب (على اليهُود) التَّصوُّر بأنَّ أُورشليم (القُدْس) برزت إلى مركز الوعي الإسرائيلي فجأةً وفي زمن مُتأخِّر فقط!. والسّبب في غرابة هذا التَّصوُّر هُو أنَّه يصدم ذلك التَّصوُّر الشّائع الذي استطاعت "أسفار الكتاب المُقدَّس" (التّوراة)، بقُوَّة تأثيرها القَصَصيَّة الخاصَّة، أنْ تُقنع به العالم من أنَّ أُورشليم مثَّلت ـ دائماً ـ مقاماً مركزيّاً لتجربة جميع الإسرائيليِّين، وأنَّ ذُرِّيَّة ونسل داود كانوا مُباركين دائماً بقَدَاسَةٍ خاصَّة، بَدَلاً من واقع الأمر، وهُو أنَّهم كانوا مُجرَّد واحدة من العشائر الأرستقراطيَّة التي حاربت لأجل البقاء في الحُكْم، على الرّغم من النّزاعات الدّاخليَّة الأهليَّة، والتّهديدات التي لم يسبق لها مثيل من الخارج.

كم ستبدو مدينتهم المَلَكيَّة الواقعيَّة صغيرة جداً في أنظار المُراقبين العَصْرِيِّين! أجل، لقد كانت المنطقة المبنيَّة لأُورشليم (القُدْس) في القرن السّابع قبل الميلاد تمتدُّ على مساحة لا تزيد عن مئة وخمسين هكتاراً فحسب؛ أيْ حوالي نصف حجم المدينة القديمة الحاليَّة لأُورشليم (القُدْس). ولم يُشكِّل سُكَّانها، الذين كانوا حوالي خمسة عشر ألف نسمة، أكثر من "مدينة سُوق" شرق أوسطيَّة صغيرة تكوَّمت وراء الأسوار والأبواب، ذات أسواق ومنازل تجمَّعت حول غرب وجنوب القَصْر المَلَكي البسيط ومُجمَّع الهيكل. الحقيقة هي أنَّ أُورشليم (القُدْس) ـ فعلاً ـ لم يسبق لها أنْ كانت أكبر من ذلك. وقد بدأت تلك المدينة تتوسَّع وتنفجر ـ في القرن السّابع ـ بتزايد سُكَّانها من المسؤولين المَلَكيِّين، والكَهَنَة، والأنبياء، واللاَّجئين، والفلاَّحين

---

(1) نقصد بالتّوحيد الإسرائيلي ما دعا إليه "الكتاب المُقدَّس" من لُزُوم عبادة الإله الواحد في مكان واحد ـ هيكل (معبد) أورشليم (القُدْس) ـ الذي كان مُحاطاً بقداسة خاصَّة. وقد كَشَفَتْ الدّراسات الأكاديميَّة الحديثة عن وُجُود طيف واسع من أنماط العبادة التي يُوجد في مركزها إلهٌ واحدٌ، ولكنَّه ليس فرداً انحصاريّاً (بمعنى أنَّه كان مصحوباً بآلهة ثانويَّة وكائنات سماويَّة مُختلفة). ونعترف بأنَّه أثناء الفترة المَلَكية المُتأخِّرة، ولمُدَّة طويلة تالية، كانت عبادة الله الإسرائيليَّة مصحوبة ـ بشكل مُنتظم ـ بتبجيل مُرافقين قدسيِّين وكائنات سماويَّة أخرى. ولكنَّنا نقترح بأنَّ التَّحرُّك الحاسم نحو التّوحيد الحديث إنَّما حَصَلَ في عهد الملك "يُوشيَّا" Josiah، مُستنداً لأفكار سفر تثنية الاشتراع Deuteronomy. (المُؤلِّف).

المُرحَّلين، أو النّازحين. لا يُوجد سوى بضع مُدُن أُخرى، في كُلّ العُصُور التّاريخيَّة، كانت واعية ذاتياً ـ على هذا النّحو الشّديد ـ بتاريخها، وهُويّتها، وقَدَرها، وعلاقتها المُباشرة مع الله.

تعود هذه التّصوُّرات الحديثة عن أُورشليم القديمة والظُّرُوف التّاريخيَّة التي وُلد فيها "الكتاب المُقدَّس" Bible ـ في جُزء كبير منها ـ إلى الاكتشافات الأخيرة لعلْم الآثار. لقد أحدثت تلك المُكتشَفَات ثورة في دراسة إسرائيل القديمة، وألقت شكُوكاً جدِّيَّة على الأساس التّاريخي لمثل تلك القَصَص التّوراتيَّة المشهورة؛ كَرَحلات الآباء، والخُرُوج الجماعي من مصر، وغزو كَنْعَان، والإمبراطُوريَّة المجيدة لداود وسُلَيْمَان.

يسعى هذا الكتاب لرواية قصَّة إسرائيل القديمة[1] وولادة كُتُبها المُقدَّسة من منظور آثاري جديد. هدفنا هُو مُحاولة فَصل التّاريخ الواقعي عن الأُسطُورة، من خلال الأدلَّة التي أثبتَتْهَا الاكتشافات الأخيرة، سنبني تاريخاً جديداً لإسرائيل القديمة، ستلعب فيه بعض أشهر الأحداث والشّخصيَّات المذكورة في مسرحيَّة "الكتاب المُقدَّس العبْري" أدواراً مُختلفةً، بنَحْو يُفاجئ الكثيرين. ورغم ذلك؛ فإنَّ غرضنا ـ في النّهاية ـ ليس مُجرَّد النَّقْد والهَدْم، وإنَّما هُو أنْ نُشْرك القُرَّاء في معرفة أحدث البصائر والرُّؤى التي قدَّمها لنا علْم الآثار ـ والتي ماتزال مجهولة ـ بنَحْو واسع ـ خارج الدّوائر الأكاديميَّة، والتي لا تُوَضِّح لنا متى كُتِبَت التّوراة فحسب، بل تُوضِّح ـ أيضاً ـ لماذا كُتبَتْ، ولماذا بقيت قويَّةً مُؤثِّرةً إلى اليوم.

(1) في كافَّة أنحاء هذا الكتاب نستعمل الاسم "إسرائيل" في معنيَيْن مُتميِّزَيْن وبديلَيْن: الأوَّل هو اسم المملكة الشّماليَّة، والثّاني هُو اسم جماعي لجالية كُلّ الإسرائيليّين. وفي أغلب الحالات؛ نُشير إلى المملكة الشّماليَّة كـ "مملكة إسرائيل" وإلى الجماعة الأوسع كـ "إسرائيل القديمة "أو" شعب إسرائيل." (المُؤلِّف).

المُقدِّمة

علْم الآثار والتّوراة:

ترتبط القصَّة التي تشرح كيف ولماذا كُتبَ "الكتاب المُقدَّس (العبْري)" ("التّوراة")، وكيف ينطبق على التّاريخ الاستثنائي لشعب إسرائيل - ارتباطاً وثيقاً بقصَّة مُثيرة وفاتنة من الاكتشافات الحديثة. لقد تركَّز البحث على أرض صغيرة جداً، مُحاطة من جانبَيْن بالصّحراء، ومن جهة أخرى بالبحر الأبيض المُتوسِّط. أرضٌ أصابَتْهَا - على مَرِّ ألف عام - موجاتٌ مُتكرِّرةٌ من القَحْط والجفاف والحُرُوب، التي لم تتوقَّف تقريباً. كانت مُدُن تلك الأرض وسُكَّانها صغيرة، بالمُقارنة مع الإمبراطُوريَّات المُجاورة في مصر، وبلاد ما بَيْن النَّهرَيْن. وكانت حضارة سُكَّانها - كذلك - سيِّئةً، وحالتهم المادِّيَّة ضعيفةً، بالمُقارنة مع عَظَمَة وفَخْفَخَة الإمبراطُوريَّات المُجاروة. ورغم ذلك؛ كانت هذه الأرض مسقط رأسِ قطعةٍ أدبيَّة نادرةٍ، مارست تأثيراً فريداً على الحضارة العالميَّة؛ سواء ككتابٍ مُقدَّس، أو كتاريخٍ مُقدَّس.

لقد مكَّنتْنَا أكثر من مئتَيْ سنة من الدّراسة المُفصَّلة للنَّصِّ العبْري للكتاب المُقدَّس، والاكتشافات الأثريَّة التي يتَّسع نطاقها بشَكْل مُستمرٍّ، في كُلِّ الأراضي الواقعة بَيْن النّيل ونهرَيْ دجلة والفُرات، من فَهْم: متى، ولماذا، وكيف، ظهر "الكتاب المُقدَّس العبْري" إلى عالم الوُجُود.

لقد قاد التّحليل المُفصَّل للُّغة والأنواع الأدبيَّة المُتميِّزة للكتاب المُقدَّس العُلماءَ إلى تمييز المصادر الشَّفَهيَّة والمكتوبة التي استند إليها النَّصُّ التّوراتي الحالي. وفي الوقت نفسه؛ أنتج علْم الآثار - بنَحْو مُذهل - معرفة موسوعيَّة للظُّرُوف المادِّيَّة، وللُّغات، والمُجتمعات، والتَّطوُّرات التّاريخيَّة، في القُرُون التي تبلورت - خلالها - تقاليد وسُنَن إسرائيل القديمة بشَكْل تدريجي، وهي قُرُون تمتدُّ على فترة ستُّمئة عام تقريباً، بدءاً من حوالي سنة 1000 ق. م، إلى سنة 400

ق.م، وأهمُّ ما في الأمر، أنَّ التّحليلات النَّصِّيَّة، جنباً إلى جنب الشّواهد الأثريَّة، مكَّنَتْنَا من التّمييز بَيْن القُوَّة والشّعر القَصَصي للكتاب المُقدَّس، وبَيْن الأحداث الأكثر واقعيَّة لتاريخ الشّرق الأدنى القديم.

لقد أصبح الوُصُول إلى عالم "الكتاب المُقدَّس العبْريّ"، واستكشافه كُلِّيّاً، مُمكناً وسهلاً اليوم، بنَحْو لم يسبق له مثيل، مُنْذُ قُرُون مُتمادية. فَبفَضْل عمليَّات التّنقيب الآثاريَّة، أصبحنا نعرف - تماماً - ماذا كان يزرع الإسرائيليُّون من حُبُوب وثمارٍ، وماذا كانوا يأكلون، وكيف كانوا يبنُون مُدُنهم، ومع مَنْ كانوا يُتاجرون. ولقد تمَّ اكتشاف عشرات المُدُن والبلدات المذكورة في "الكتاب المُقدَّس العبْريّ".

واستُخْدمَت طُرُق تنقيب حديثة، وتشكيلة واسعة من الفُحُوص والاختبارات المخْبريَّة، لتحليل تاريخ وحضارة الإسرائيليِّيْن القُدماء، وحضارة جيرانهم الفلسطينيِّيْن، والفينيقيِّيْن، والآراميِّيْن، والعمُّونيِّيْن، والمُوآبيِّيْن، والأدُوميتيِّيْن. وتمَّ - في عدد من الحالات - اكتشاف أختام تواقيع، ونُقُوش، يُمكن أنْ ترتبط بأفراد ذُكروا في النَّصِّ التّوراتي بنَحْو مُباشر. ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ علْم الآثار أثبت صحَّة القصَّة التّوراتيَّة بكُلِّ تفاصيلها، بل على العكس، أصبح واضحاً - الآن - أنَّ العديد من أحداث التّاريخ التّوراتي لم تحدث لا في المكان، ولا بالطّريقة والأوصاف التي رُويت في "الكتاب المُقدَّس العبْريّ"، بل بعض أشهر الحوادث في الكتاب المُقدَّس العبْريّ لم تحدث مُطلقاً أصلاً.

إذنْ؛ لقد ساعد علْم الآثار على إعادة بناء التّاريخ الحقيقيّ الكامن خلف نُصُوص التّوراة، سواء على صعيد المُلُوك والممالك العظيمة، أو على صعيد أُسلُوب الحياة اليوميَّة. وكما سنُوضّحه في الفُصُول التّالية، أصبحنا نعرف - اليوم - بأنَّ الأسفار أو الفُصُول المُبكِّرة من "الكتاب المُقدَّس العبْريّ" وقَصَصه المشهورة حول التّاريخ المُبكِّر لبني إسرائيل، تمَّ تصنيفها أوَّلاً (وأُعدَّت في نواحيها الرّئيسيَّة) في مكان ووقت مُميَّزَيْن: أُورشليم (القُدْس) في القرن السّابع قبل الميلاد.

ما المقصود بالكتاب المُقدَّس The Bible ؟

لنذكر - أوَّلاً - بعض التّعريفات الأساسيَّة. عندما نتكلَّم عن "الكتاب المُقدَّس" The Bible فإنَّنا نُحيل - أوَّلياً - إلى مجموعة الكتابات القديمة التي دُوِّنت على مدى مُدَّةٍ طويلةٍ، والتي أصبحت تُعرَف - فيما بعد - باسم أسفار "العهد القديم" The Old Testament، ويُسمِّيها العُلماء الدّارسون - الآن - بـ "الكتاب المُقدَّس العبْري" The Hebrew Bible، وهُو مجموعة من الأساطير، والقوانين، والأشعار، والنُّبوءات، والفلسفة، والتّاريخ، كُتِبَتْ كُلُّها - تقريباً - باللُّغة العبْريَّة (باستثناء بعض الفُصُول القليلة التي دُوِّنَتْ ببعض اللّهجات السّاميَّة المُختلفة التي تُدعى الآراميَّة: والتي أصبحت لُغة التّفاهم المُشتركة بَيْن شُعُوب منطقة الشّرق الأوسط بعد 600 ق.م). ويشتمل هذا الكتاب المُقدَّس The Bible على تسعة وثلاثين كتاباً، قُسِّمت - في البداية - حسب موضوعها، أو حسب مُؤلِّفها، أو في حالة الكُتُب الأطول؛ مثل سِفْرَيْ صموئيل الأوَّل والثّاني، وسفْرَيْ المُلُوك الأوَّل والثّاني، وسفْرَيْ أخبار الأيّام الأوَّل والثّاني، قُسِّمَتْ حسب الطُّول القياسي للَفّات ورق البردى، أو رقّ الكتابة. ويُمثِّل "الكتاب المُقدَّس العبْري" الكتاب الدِّينيَّ المُقدَّس المركزيَّ لليهُوديَّة، والجُزء الأوَّل من الكتاب المُقدَّس القانُونيّ للمسيحيَّة، كما يُمثِّل المصدر الغنيَّ لكثير من التّلميحات، والتّعليمات الأخلاقيَّة في الإسلام، والتي انتقلت إليه عبْر نصّ القُرآن. أمَّا تقليديّاً؛ فقد تمَّ تقسيم "الكتاب المُقدَّس العبْري" إلى ثلاثة أجزاء رئيسيَّة (انظرْ الشّكل رقْم (1) في الصّفحة التّالية).

يتضمَّن القسم الأوَّل "التّوراة" Torah – والتي يُطلَق عليها - أيضاً - اسم كُتُب مُوسى الخمسة، أو البينتاتوك Pentateuch (وهي كلمة يُونانيَّة الأصل تعني "خمسة كُتُب") – الأسفار الخمسة الأُولى للكتاب المُقدَّس، وهي: سفْر التّكوين، ثُمَّ سفْر الخُرُوج، ثُمَّ سفْر اللاّويِّين (وبعض التّرجمات تُترجمه بسفْر الأحبار)، ثُمَّ سفْر العدد، وأخيراً؛ سفْر التّثنية (ويُسمَّى كذلك تثنية الاشتراع). وتَرْوي هذه الأسفارُ الخمسة قصَّةَ شعب إسرائيل مُنْذُ خلق العالم، وعبْر فترة الطُّوفان والآباء، وحتَّى الخُرُوج الجماعي من مصر، ثُمَّ رحلات التّيه في الصّحراء، وإعطاء الشّريعة لمُوسى في سيناء، وتنتهي التّوراة بوداع مُوسى لبني إسرائيل.

التّوراة

(1) التّكوين　　(2) الخُرُوج

(3) اللاَّويُّون　　(4) العدد

(5) التّثنية

الأنبياء

الأنبياء السّابقون (القُدماء)

القُضَاة　　يشُوع

صموئيل الثّاني　　صموئل الأوَّل

المُلُوك الثّاني　　المُلُوك الأوَّل

الأنبياء اللاَّحقون

إشعيا　إرميا　حزقيال

هوشع　يوئيل　عاموس　عوبيديا

يونان　ميخا　نحوم　حبقوق

صفنيا　حجاي　زكريًّا　ملاخي

الكتابات

الأشعار

المزامير　الأمثال　أيُّوب

اللُّفافات الخمسة

نشيد سُلَيْمَان　راعوت　المراثي

الجامعة　استير

النُّبُوءة

دانيال

التّاريخ

أخبار الأيَّام الأوَّل　　أخبار الأيَّام الثّاني

عزرا　　نحميا

الشّكل 1: أسفار الكتاب المُقدَّس العبْري The Hebrew Bible

أمَّا القسم التّالي، أيْ "الأنبياء"؛ فينقسم إلى مجموعتَيْن رئيسيَّتَيْن من الكُتُب المُقدَّسة: المجموعة الأُولى هي: الأنبياء السّابقون، وتتضمَّن أسفار: يشُوع، والقُضَاة، وصموئيل 1، و2، والمُلُوك 1 و2، وتحكي هذه المجموعة من الأسفار قصَّةَ شعب إسرائيل مُنْذُ عُبُورهم نهر الأُردُن وغَزْوهم لأرض كَنْعَان، ومُرُوراً بصُعُود وانهيار المَمْلَكَتَيْن الإسرائيليَّتَيْن، وحتَّى هزيمة الإسرائيليّين ونَفْيهم على أيدي الآشُوريّين والبابليّين. أمَّا المجموعة الثّانية، أيْ مجموعة الأنبياء المُتأخِّرين أو اللاّحقين؛ فتتضمَّن إلهامات الوحي، والتّعليمات الاجتماعيَّة، والإدانات المُرَّة، والتَّوقُّعات أو التَّنبُّؤات المسيحانيَّة التي كان يُعلنها مجموعة مُتنوِّعة من الأفراد المُلهَمين، يمتدُّ زمنهم عبْر فترة حوالي ثلاثمئة وخمسين سنة، من مُنتصف القرن الثّامن ق.م، حتَّى نهاية القرن الخامس ق.م.

وأخيراً؛ يتضمَّن قسم "الكتابات" مجموعة من المواعظ، والقصائد، والصّلوات، والابتهالات، والأمثال، والمزامير، التي تُمثِّل أقوى وأبرز التّعبيرات الخالدة عن تقوى وَوَرَع الإسرائيلي العادي في أوقات البَهْجَة، أو الأزمات، أو العبادة، والتّأملات الشّخصيَّة. ومن الصّعب جداً - في أكثر الحالات - رَبْط تلك "الكتابات" بأيِّ حَدَثٍ خاصٍّ، أو مُؤلِّفٍ تاريخيٍّ مُعيَّن، بل هي حصيلة عَمَليَّة مُستمرَّة من التّأليف، امتدَّت على مدى مئات السّنوات. وبالرّغم من أنَّ المادَّة الأسبق في هذه المجموعة (المزامير والمراثي) ربَّما يكون قد تمَّ جَمْعُهَا في أواخر العهد المَلَكي، أو بعد دمار أُورشليم (القُدْس) عام 586 ق.م، مُباشرةً، إلاَّ أنَّ أغلب الكتابات أُعدَّت - على ما يبدو - لاحقاً، وبعد مُدَّة طويلة؛ أيْ من القرن الخامس، وحتَّى القرن الثّاني قبل الميلاد؛ أيْ في الفترات الفارسيَّة والهيلِّينيَّة.

يفحص كتابنا هذا الكتابات "التّاريخيَّة" الرّئيسيَّة للكتاب المُقدَّس العبْريّ، فيستعرض - أوّلاً - التّوراة وأسفار الأنبياء السّابقين، التي تروي قصَّة شعب إسرائيل من بداياتها، إلى دمار هيكل (معبد) أُورشليم (القُدْس) عام 586 ق.م.

سنُقارن هذه القصَّة بثروة البيانات الآثاريَّة التي جُمعَت خلال العُقُود القليلة الماضية. وسيظهر للقارئ أنَّ النّتيجة هي اكتشاف علاقة مُثيرة ومُعقَّدة بيْن الذي حَدَثَ في الحقيقة

والواقع في أرض الكتاب المُقدَّس العبْريّ أثناء الفترة التّوراتيَّة (بأفضل ما يُمكن تحديده)، وبَيْن الرّوايات التّاريخيَّة المُفصَّلة بنَحْو مُتقن، التي يحكيها الكتاب المُقدَّس العبْري.

من عَدَن إلى صهيون:

جوهر الكتاب المُقدَّس العبْري عبارة عن قصَّة مَلْحميَّة، تصف بُرُوز شعب إسرائيل، وعلاقتهم المُستمرَّة مع الله. وعلى خلاف أساطير الشّرق الأدنى القديم الأُخرى، مثل حكايات أُوزيريس، وإيزيس، وحُورُوس المصريَّة، أو مَلْحَمَة جلجاميش في بلاد ما بَيْن النَّهرَيْن، فإنَّ حكايات الكتاب المُقدَّس العبْري ذات رصيد أرضي راسخ، وتاريخ دُنيوي فعليّ.

إنَّه دراما إلهيَّة يتمُّ عَرْضُها أمام أعين البشريَّة. وأيضاً؛ على خلاف التّواريخ والسِّجلاَّت المَلَكيَّة لأُمم الشّرق الأدنى القديمة الأُخرى، لا يحتفي هذا الكتاب بقُوَّة التّقليد والسُّلالات الحاكمة فقط، بل يعرض رُؤية مُعقَّدة وواضحة بالوقت نفسه، تُبيِّن لماذا ارتبط تاريخ شعب إسرائيل ـ بل تمام العالم في الواقع ـ بشَكْل مُباشر مع أوامر ووُعُود الله. شعب إسرائيل هُو المُمثِّل المركزي في هذه الدّراما. سُلُوكه وتمسُّكه بوصايا الله هُما اللّذَان يُقرِّران الاتِّجاه الذي يسير فيه تاريخه. وهكذا يعود تقرير مصير العالم لشعب إسرائيل، ومن خلالهم، لكُلِّ قُرَّاء "الكتاب المُقدَّس العبْري".

تبدأ حكاية "الكتاب المُقدَّس العبْري" في جنَّة عَدَن، وتستمرُّ خلال قَصَص قابيل وهابيل، وطُوفان نُوح، ثُمَّ تُركِّز ـ أخيراً ـ على مصير عائلة واحدة هي أُسرة إبراهيم. اختار اللهُ إبراهيمَ ليكون أباً لأُمَّة عظيمة، وليتَّبع ـ بكُلِّ إخلاص ـ أوامر الله. رحل إبراهيم مع عائلته من موطنه الأصلي في بلاد ما بَيْن النَّهرَيْن إلى أرض كَنْعَان؛ حيثُ تجوَّل ـ عبْر مسيرة حياتيَّة طويلة ـ كَغَريب بَيْن السُّكَّان الأصليِّين لتلك المناطق، ثُمَّ أنجب ـ عبْر زوجته سارة ـ ابناً هُو إسحاق، سيرث الوُعُود المُقدَّسة التي كانت قد أُعطيت ـ أوّلاً ـ إلى إبراهيم، وأصبح يعقُوب ابن إسحاق ـ الجيل الثّالث من الآباء الكبار ـ أباً لاثنتَيْ عشرة قبيلة مُتميِّزة. وبعد مسيرة حياتيَّة فوضويَّة مُتنوِّعة من التّرحال والتّجوال، وإنشاء عائلة كبيرة، وتأسيس مذابح في جميع أنحاء الأرض، يتصارع يعقُوب مع الملاك، ويتلقَّى اسم "إسرائيل" (و التي معناها بالعبْريَّة: "الذي تصارع مع

الله")، وهُو الاسم الذي صار يُعرَف به كُلُّ أبنائه وذُرِّيَّته من بعده. وتروي التّوراة العبْريَّة كيف تقاتل أبناء يعقُوب الاثنا عشر مع بعضهم البعض، وعملوا مع بعضهم البعض، وفي النّهاية؛ غادروا موطنهم، باحثين عن ملجأ في مصر زمنَ المجاعة والقَحْط الشّديدَيْن. ويُعلن الأب يعقُوب في وصيَّته الأخيرة أنَّ قبيلة ابنه يهُوذا هي التي تحكم بقيَّة القبائل الاثنَتَيْ عشرة جميعاً (التّكوين 49/ 8-10).

ثُمَّ تنتقل القصَّة العظيمة من الدّراما العالميَّة إلى المشهد التّاريخي، حين يكشف إله إسرائيل عن قُوَّته الرّهيبة بعرضٍ قويٍّ ضدَّ فرعون مصر، الحاكم الأقوى على وجه الأرض آنذاك. وكان بنو إسرائيل قد نموا حتَّى أصبحوا أُمَّة عظيمة، ولكنَّهم استُعْبدوا كأقلِّيَّة مُحْتَقَرَة، وشُغِّلُوا ببناء النّصب العظيمة للنّظام المصري. وتجلَّت إرادة الله أنْ يُعلن نفسه للعالم عبْر اختياره لُموسى كَوَسيط له في تحقيق إرادته في تحرير بني إسرائيل؛ لكي يُمكنهم من أنْ يبدؤوا قَدَرهم الحقيقي. وربَّما في أكثر سلاسل الأحداث حَيَويَّة في أدب العالم الغربي، تصف أسفار الخُرُوج واللاَّويِّين والعَدَد كيف قاد إله إسرائيل - من خلال الآيات والعجائب - بني إسرائيل خارج مصر، نحو البرِّيَّة. ويكشف الله في سيناء هُويَّته الحقيقيَّة كـ "يَهْوَه" (الاسم المُقدَّس التي يتألَّف من أربعة حُرُوف عبْريَّة)، ويُعطيهم قانُوناً يُوجِّه حياتهم كَجَمَاعة وكأفراد.

و أصبحت البُنُود المُقدَّسة للعهد والميثاق بَيْن بني إسرائيل ويَهْوَه، والتي كُتبَت على ألواحٍ حَجَريَّة، وحُفظَتْ في تابوت العهد، أصبحت معيار معركتهم المُقدَّسة، وهُم يزحفون نحو الأرض الموعودة.

في بعض الثّقافات الأُخرى؛ كان من المُمكن أنْ تتوقَّف الأُسطُورة المكتوبة عند هذه النُّقطة؛ أيْ بيان كيفيَّة ظُهُور شعب بشَكْل استثنائي وإعجازي وحَسْب، لكنَّ التّوراة كان مايزال أمامها مهمَّة سَرْد ورواية تاريخ قُرُون طويلة أُخرى، تاريخ حافل بالعديد من الانتصارات، والمُعجزات، والنّكسات غير المُتوَقَّعة، والكثير من المُعاناة الجماعيَّة. وتلا الانتصارات الكبيرة التي حقَّقها الإسرائيليُّون في غزوهم لأرض كَنْعَان، وتأسيس الملك داودَ لإمبراطُوريَّة عظيمةٍ، وبناءُ سُلَيْمَان لهيكل (معبد) أُورشليم (القُدْس)، تلاها وُقُوع الانشقاق الدِّيني، والارتداد المُتكرِّر إلى عبادة الأصنام، وفي النّهاية؛ النَّفْي. وهكذا تصف التّوراة

انفصال القبائل الشّماليَّة العشرة، من طرف واحد، عن الحُكْم الملكي المُتَّحد، بعد موت سُلَيْمَان مُباشرة، لاستيائهم ورَفْضهم الاستمرار في الخُضُوع للمُلُوك من ذُرِّيَّة داود في أُورشليم، ممَّا خَلَقَ بالإجبار مَمْلَكَتَيْن مُتنافستَيْن: مَمْلَكَة إسرائيل، في الشّمال، ومَمْلَكَة يهُوذا، في الجنوب.

عاش الشّعب الإسرائيلي، في السّنوات المثَيْن التّالية، في مَمْلَكَتَيْن مُنْفَصلتَيْن، مُستسلماً ـ على ما ترويه التّوراة ـ مراراً وتكراراً لسحْر الآلهة الأجنبيَّة. تصفُ التّوراة زُعماء المَمْلَكَة الشّماليَّة بأنَّهم كانوا ـ جميعاً ـ عُصاةً آثمين بنَحْوٍ لا يقبل التّسامح، وتذكر ـ كذلك ـ أنَّ بعض مُلُوك يهُوذا ـ أيضاً ـ ابتعدوا عن طريق الطّاعة والولاء الكُلّيٍّ للّه. وبمُرُور الوقت؛ يُرسل اللهُ الغُزاة الخارجيّين والمُحتلّين والمُضطَهدين لمُعاقبة شعب إسرائيل؛ لذُنُوبهم. فأوّلاً؛ يقوم آراميُّو سُوريا بإيذاء ومُضايقة مَمْلَكَة إسرائيل، ثُمَّ تُوقعُ الإمبراطُوريَّة القويَّة والعظيمة للآشُوريّيْن خراباً لم يسبق له مثيل في مُدُن المَمْلَكَة الشّماليَّة، وتُنزل بجُزء هامٍّ من قبائلها العشرة المصير المُرَّ للدّمار والنَّفْي سنة 720 ق.م، أمَّا مَمْلَكَة يهُوذا في الجنوب؛ فإنَّها تستطيع أنْ تُواصل حياتها لأكثر من قرنٍ آخر، إلاَّ أنَّ شعبها ـ في النّهاية ـ لم يستطع أنْ يتفادى حُكْمَ الله الحَتْميّ عليه، عندما قامت الإمبراطُوريَّة البابليَّة الصّاعدة والمُتوحِّشَة، سنة 586 ق.م، بتحطيم أرض إسرائيل، وإحراق وتدمير أُورشليم (القُدْس)، وهيكلها (معبدها) دماراً تامّاً.

برواياتها لتلك المأساة العظيمة، تتميَّز القصَّة التّوراتيَّة، وتبتعد ـ مرَّة ثانية ـ عن النّمط الطّبيعي للملاحم الدّينيَّة القديمة. ففي الكثير من مثل تلك القَصَص، تُؤدِّي هزيمة إله من قبل جيشٍ مُنافسٍ إلى نهاية طائفته أيضاً. أمَّا في "الكتاب المُقدَّس العبْري"؛ فإنَّ قُوَّة إله إسرائيل تجلَّت وظهرت بشكْل أعظم وأقوى بعد سُقُوط يهُوذا ونَفْي الإسرائيليّين. كان إله إسرائيل أبعد ما يكون عن الذُّلِّ بسبب خراب معبده، بل، لقد تجلّى كإله قويٍّ لا يُقْهَر؛ لأنَّه ـ في النّهاية ـ هُو الذي سخَّر الآشُوريّيْن والبابليّيْن واستعملهم كوُكَلائه ـ دُون أنْ يشعروا ـ في مُعاقبته لبني إسرائيل؛ لكُفرانهم، وخيانتهم.

ومن الآن فصاعداً، ومُنْذُ عودة بعض المَنْفيّيْن إلى أُورشليم، وإعادة بنائهم الهيكل (المعبد)، لم تعد ـ أبداً ـ مَمْلَكَة إسرائيل إلى الوُجُود، بل أصبح بنو إسرائيل مُجرَّد جالية، أو

جماعة دينيَّة فحسب، تُوجِّهها شريعتها المُقدَّسة، وتُكرِّس نفسها للعمل الدّقيق بالطُّقُوس المُبيَّنة في نُصُوصها المُقدَّسة. الآن - بَدَلاً من سُلُوك مُلُوك شعب إسرائيل أو صُعُود وانهيار الإمبراطُوريَّات العظيمة - أصبح الاختيار الحُرُّ لرجال ونساء بني إسرائيل في احترام واتِّباع الوصايا والأوامر الإلهيَّة، أو عصيانها وانتهاكها، هُو الذي يُقرِّر المصير اللاَّحق لذلك الشّعب، وفُصُول تاريخه.

إنَّ قُوَّة تأثير "الكتاب المُقدَّس العبْري" الكبيرة إنَّما تكمن في هذا التّركيز الاستثنائي على المسؤوليَّة الإنسانيَّة. وإذا كانت الملاحم القديمة الأُخرى تَبْهَتُ بمُرُور الوقت، فإنَّ تأثير قصَّة "الكتاب المُقدَّس العبْري" على الحضارة الغربيَّة - على العكس من ذلك - زاد ونما باستمرار.

مَنْ كَتَبَ أسفار التّوراة الخمسة؟ ومتى؟

لقُرُون عديدة؛ عَدَّ قُرَّاء "الكتاب المُقدَّس العبْري" - كأمرٍ مفروغٍ منه - أنَّ الكُتُبَ المُقدَّسة كانت وحياً مُقدَّساً، وتاريخاً دقيقاً بالوقت نفسه، أوحى الله بها - مُباشرةً - إلى عدد كبيرٍ واسعٍ من الحُكَمَاء، والأنبياء، والكَهَنَة من بني إسرائيل. وافترضت المراجع الدِّينيَّة الرَّسْميَّة، سواء اليهُوديَّة، أوالمسيحيَّة - بشَكْل طبيعي - بأنَّ كُتُبَ مُوسى الخمسة إنَّما أُنزلت عليه، وأنَّه قام بكتابتها بنفسه، وذلك قُبيل موته مُباشرة، وهُو على جبل نيبو، كما يروي كتاب سفْر التّثنية. أمَّا كُتُبُ (أسفار) يشُوع، والقُضَاة، وصموئيل؛ فَعُدَّتْ - جميعاً - سجلاَّت مُقدَّسة، احتفظ بها النّبي الجليل صموئيل في "شيلوه" Shiloh، وعُدَّ سفْرا المُلُوك (الأوَّل والثّاني) مُدوَّنَيْن بقلم النّبي إرميا. وعلى المنوال نفسه؛ ساد الاعتقاد بأنَّ الملك داود هُو مُؤلِّف المزامير، وأنَّ الملك سُلَيْمَان هُو مُؤلِّف سفْر الأمثال، وسفْر نشيد سُلَيْمَان. ولكنْ؛ مع بُزُوغ فجر العصر الحديث، في القرن السّابع عشر، وجد العُلماء - الذين كرَّسوا أنفسهم للدّراسة الأدبيَّة واللُّغويَّة المُفصَّلة للكتاب المُقدَّس - أنَّ الأمر ليس بتلك البساطة أبداً. لقد أبرزت الحُجَج القويَّة للعَقْل والمنطق - عند تطبيقها على نُصُوص الكُتُب المُقدَّسة - تساؤلاتٍ مُثيرةً ومُزعجةً جداً حول الثّقة التّاريخيَّة للكتاب المُقدَّس العبْريّ.

كان السُّؤال الأوَّل: هل من المُمكن أنْ يكون مُوسى هُو - حقَّاً - مُؤلِّف كُلّ الأسفار الخمسة الأُولى من الكتاب المُقدَّس العبْريّ المعروفة بكُتُب مُوسى؟ كيف ذلك، والسّفْر الأخير

منها - أيْ سفْر التّثنية - يصف - بتفصيل دقيق - ظُرُوف موت مُوسى، ووقت وفاته بالضّبط. وليس هذا فحسب، بل سُرعان ما ظهرت تناقضات أُخرى أيضاً: النّصُّ التّوراتي مليء بالتّعليقات الجانبيّة الأدبيَّة، التي تُوضّح الأسماء القديمة لبعض الأماكن، ويُلاحَظ كثيراً بأنَّ أدلَّة الأحداث التّوراتيَّة المشهورة مازالت "مرئيَّة إلى يومنا هذا". لقد أقنعت هذه العواملُ بعضَ عُلماء القرن السّابع عشر أنَّ أسفار "الكتاب المُقدَّس العبْري" الخمسة الأُولى - على الأقلّ - قد كُتِبَتْ، ثُمَّ وُسِّعَتْ، وَزُيِّنَتْ لاحقاً، من قبَل مُحرِّرين مجهولين، ومُراجعين مُتعدِّدين، على مدى عدَّة قُرُون.

مع نهاية القرن الثّامن عشر، وبدرجة أكبر في القرن التّاسع عشر، بدأ العديد من العُلماء النّاقدين المُختصِّين بالكتاب المُقدَّس يشكُّون في أنْ يكون لمُوسى أيُّ يدٍ - على الإطلاق - في كتابة أسفار التّوراة؛ واتَّجه عديدٌ منهم إلى الاعتقاد بأنَّ التّوراة كانت - حصراً - من عمل كُتّابٍ تالين. وقد أشار هؤلاء العُلماء إلى ما يبدو أنَّه نُسَخٌ مُختلفةٌ لنَفْس القَصَص ضمن الأسفار الخمسة للتّوراة، فاقترحوا بأنَّ النَّصَّ التّوراتي كان نتاجاً لعدَّة أيدي يسهل التّمييز بَيْنها. فأيُّ قراءةٍ حذرةٍ لسفْر التّكوين - على سبيل المثال - تكشف عن نُسختَيْن مُتعارضتَيْن لقصَّة الخَلْق (1/ 1-2/ 3 و2/ 4-25)، فهُناك سلسلتا نَسَب مُختلفتان جداً لنَسْل آدم (4/ 17-26 و5/ 1-28)، وهُناك قصَّتا طُوفان مُنْفَصلتان، ثُمَّ مُرتَّبتان ثانية مع بعضهما (6/ 5-9/ 17). بالإضافة إلى أنَّ هُناك العشرات من نماذج التّكرار المُضاعف، وأحياناً المُثلَّث لنَفْس الأحداث في قَصَص رحلات الآباء، والخُرُوج الجماعي من مصر، وإنزال الشّريعة.

رغم ذلك؛ كان هُناك ترتيب واضح في هذا الذي بدا أنَّه تكرار فوضوي. فقد بدأ يُلاحَظ - مُنْذُ وقت مُبكِّر في القرن التّاسع عشر، (كما شَرَحَ ذلك - بوُضُوح - العالمُ التّوراتيُّ الأمريكي ريتشارد إليوت فريدمان Richard Elliott Friedman في كتابه *مَنْ كتبَ الكتاب المُقدَّس؟*") -، بأنَّ التّكرار المُضاعف الذي يظهر لأوَّل وَهْلَةٍ في سفْر التّكوين، وسفْر الخُرُوج، وسفْر العدد، لم يكن مُجرَّد روايات مُختلفة مذكورة بنَحْو اعتباطي، أو تكرار ثانٍ لنَفْس القَصَص. لقد أبقَتْ كُلُّ رواية بعض الخصائص، التي يُمكن تمييزها بسُهُولة، بواسطة الاصطلاحات Terminology، والتّركيز الجَغرافي المُعيَّن، وخاصَّة - وبشَكْل واضحٍ جداً - تميُّز الأسماء

المُختلفة المُستعملة عند وَصْف إله إسرائيل. فنجد مجموعة من الرّوايات تَستخدم ـ أثناء رواياتها التّاريخيَّة ـ الاسم الرُّباعي "يَهْوَه" بشَكْل مُستمرٍّ (والذي يَفترضُ أكثرُ العُلماء أنّه يُلفَظُ بكَسْر الواو؛ أيْ "يَهْوِه" Yahweh)، وتبدو مُهتمَّةً أكثر بكثيرٍ بقبيلة يهُوذا ودولتها الجنوبيَّة في رواياتها المُختلفة، في حين تستخدم المجموعة الأُخرى من القَصَص، الاسم "إيلوهيم" Elohim، أو إيل في حديثها عن الله، وتبدو مُهتمَّة ـ بشَكْل خَاصٍّ ورئيس ـ بالقبائل والأراضي التي تقع في شمال البلاد؛ مثل قبائل أفرايم، ومَنَسَّى Manasseh، وبنيامين. وبمُرُور الوقت؛ أصبح واضحاً أنَّ التّكرار اشتُقَّ من مصدرَيْن مُتميِّزَيْن كُتبَا في أوقات مُختلفة، وأماكن مُختلفة. وقد أعطى العُلماءُ الاسمَ "جي J" للمصدر اليَهْوي Yahwist (تُهَجَّى Jahvist في الألمانيَّة)، والاسم "إي E" للمصدر الإيلوهي Elohist، لذينك المصدرَيْن على التّرتيب.

وقد أقنعت الاستعمالات المُتميِّزة للمُصطلحات الجَغرافيَّة والرُّمُوز الدِّينيَّة والأدوار التي كانت القبائل المُختلفة تلعبها في المصدرَيْن العُلماءَ أنَّ النَّصَّ "جي J" كُتبَ في أورشليم (القُدْس)، ومثَّل وُجهة نَظَر الحُكْم المَلكي المُتَّحد، أو مَمْلَكَة يهُوذا، وافترضوا أنَّ كتابته تمَّت ـ مُباشرة ـ بعد عهد الملك سُلَيْمَان (970 ـ 930 ق.م). وعلى المنوال نفسه، بدا أنَّ النَّصَّ "إي E" قد كُتبَ في الشّمال، ومثَّل وُجهة نَظَر مَمْلَكَة إسرائيل، وأنَّه من المُمكن أنْ يكون قد أُعدَّ أثناء الحياة المُستقلَّة لتلك المَمْلَكَة (930 ـ 720 ق.م). هذا؛ في حين بدا سفْر التّثنية ـ في رسالته المُتميِّزة وأُسلُوبه الخاصِّ ـ وثيقةً مُستقلَّة سُمِّيَت "دي D". ويُوجد بَيْن أقسام التّوراة ـ التي لا يُمكن أنْ تُنسَب إلى "جي J"، أو "إي E"، أو "دي D"، عدد كبير من الفُصُول التي تتعامل مع الأُمُور الطَّقْسيَّة. واتَّجه العُلماء ـ مع الزّمن ـ لاعتبار هذه الأجزاء اقتباساً من مصدر طويل دُعي "بي P"، "أو المصدر الكَهَنُوتي Priestly، الذي يُركِّز ـ باهتمام خاصٍّ ـ على أُمُور الطّهارة، والعبادات والطُّقُوس، وأحكام تقديم القرابين.

وبكلمة أُخرى؛ لقد اتَّجه العُلماء ـ بشَكْل تدريجي ـ إلى النّتيجة الحَتْميَّة القائلة بأنَّ الكُتُب الخمسة الأُولى "للكتاب المُقدَّس العبْري" ـ كما نعرفها الآن ـ هي حصيلة عَمَليَّة تحريريَّة مُعقَّدة، تمَّ ـ خلالها ـ تجميع الوثائق المصدريَّة الرّئيسة الأربع ـ "جي J"، و"إي E"، و"بي P"، و"دي D" ـ وَدَمْجها بشَكْل ماهر، وتمَّ الرَّبط بَيْنها بشَكْل حاذق من قبَل النُّسَّاخ أو المُنقِّحين، الذين ظهرت

آثار تنقيحاتهم الأدبيَّة وجُمَل رَبطهم (دعاها بعض عُلماء المقاطع "آر R") بشَكْل جُملٍ انتقاليَّة وتعليقاتٍ جانبيَّة تحريريَّة. وقد حَدَثَتْ آخر هذه التّنقيحات في فترة ما بعد النَّفْي.

تفاوتت آراء العُلمـاء - في العُقُـود القليلـة الماضيـة - حـول تواريـخ ومُؤلِّفـي هـذه المصـادر الفَرْديَّة إختلافاً بَيِّناً وكبيراً. فبَيْنما رأى بعضهم أنَّ تلك النُّصُوص أُعدَّتْ وحُرِّرت خـلال عـهد الحُكْم المَلكي المُتَّحد ومَمْلَكَتَيْ يـهُوذا وإسـرائيل (1000 - 586 ق.م)، أصـرَّ آخـرون علـى أنَّـها تأليفاتٌ مُتأخِّرةٌ، تمَّ جَمْعُهَا وتحريرها من قبَل الكَهَنَة والكُتَّاب أثناء المَنْفى البابلي، والعـودة منه (في القرنَيْن السّادس والخامس قبل الميلاد)، أو حتّـى فـي وقـتٍ مُتـأخِّر أكثر يصـل إلـى الفـترة الهيلِّينيَّة (القُرُون من الرّابع إلى الثّاني ق.م).

وأيّاً كان الأمر؛ فقد أصبح الكُلُّ يُجمع على أنَّ الأسـفار الخمسـة (التّـوراة) ليسـت تأليفاً فَرْديّاً واحداً (كُتلة واحدة)، بل تجميعٌ وترقيـعٌ لمصـادرَ مُختلفـةٍ، كُـلٌّ منهـا كُتـبَ تحـت ظُـرُوف تاريخيَّة مُختلفةٍ؛ لإبداء وُجهات نَظَرٍ دينيَّة، أو سياسيَّة مُختلفةٍ.

روايتـان لتـاريـخ إسـرائيل التّـالـي:

بدت الأسفار (أيْ الكُتُب أو الفُصُـول) الأربعـة الأُولـى مـن الكتـاب المُقـدَّس - التّكويـن، الخُرُوج، اللاَّويِّين، العدد - نتاج دَمْجٍ بارعٍ بَيْن المصادر "جي J"، "إي E"، و"بـي P" (أيْ المصـدر اليَهَويّ، والإيلوهي، والكَهَنُوتي)، فـي حـين كـان وَضْـع الكتـاب الخـامس - أيْ سفْر التّثنيـة - مُختلفاً تماماً؛ لأنّه حَمَلَ مُصطلحاتٍ مُمَيَّزةٍ (لا يُشـاركه فيـها أيٌّ من المصـادر الأُخـرى)، كمـا تضمَّن إدانةً شديدةً لعبادة الآلهة الأُخـرى، وَطَـرَحَ تصـوُّراً جديـداً للّـه، كَكَـائنٍ مُتَعـالٍ جـداً، ونصَّ على التّحريم المُطلَق لتقديم أيِّ قرابـين لإلـه إسـرائيل، فـي أيِّ مكـانٍ سـوى الـهيكل فـي أُورشليم. وقـد اعـترف العُلمـاء - مُنْذُ عـهد بعيـد - بارتبـاطٍ مُحتمَـل بَيْـن هـذا السِّفْر، وكتـابٍ غامضٍ آخـر هُـو: "سـفْر الشّريعة"، الـذي اكتشـفه الكـاهن الأكـبر "حلقيـاهُ"، أثنـاء إعـادة بنـاء الهيكل في عهد حُكْم الملك "يُوشيّا" Josiah سنة 622 ق.م. وقد أصبحـت هـذه الوثيقـة - كمـا يروي سفْر المُلُوك الثّـاني 22/ 8 - 23/ 24 - مصـدر إلـهامٍ لإصـلاحٍ دينـيٍّ ذي شـدَّة لا نظير لـها من قبلُ.

إنَّ تأثير سفْر التّثنية على الرّسالة النّهائيَّة للكتاب المُقدَّس العبْري أبعـد بكثير من أحكامه القانُونيَّة الصّارمة. إنَّ القصَّة التّاريخيَّة المُترابطة التـي ترويـها الأسفار التي تلي أسفار التّوراة الخمسة ـ أيْ أسفار يشُوع، والقُضَاة، وصموئيـل 1 و2، والمُلُوك 1 و2 ـ ذات صلة وثيقة جداً بسفْر التّثنية لُغوياً ولاهُوتياً، إلى حَدٍّ أنْ أصبح العُلماء ـ مُنْذُ مُنتصف أربعينات القرن الماضي ـ يُطلقون عليها عبارة "التّاريخ التّثنوي Deuteronomistic History". ويُعَدُّ هذا العمـلُ الأدبيُّ العظيمُ العملَ التّاريخيَّ الثّاني الذي يقصُّ تاريخ إسرائيل في الكتاب المُقدَّس العبْريّ؛ حيثُ تُواصل تلك الأسفار قصَّةَ مصير شعب إسرائيل مُنْذُ غَزْوه للأرض الموعودة، وحتَّى المَنْفى البابلي، وتُعبِّر عن عقيدة حَرَكَة دينيَّة جديدة برزت بَيْن بني إسرائيل في وقتٍ مُتأخِّر نسبياً. وقد حُرِّرَ هذا العمل أكثر من مرَّة أيضاً. ويرى بعض العُلماء بأنَّ هذا التّاريخ تمَّ تأليفه أثناء فترة النَّفي في مُحاولةٍ للمُحافظة على تاريخ، وثقافة، وحضارة، وهُويَّة الأُمَّة المقهورة، بعد كارثة دمار أُورشليم، في حين يقترح عُلماء آخرون بأنَّه ـ بشَكْل رئيس ـ تمَّت كتابة "التّاريخ التّثنوي Deuteronomistic History" في أيَّام الملك يُوشيا، لخدمة عقيدته الدِّينيَّة، وطُمُوحاته الإقليميَّة، وبأنَّه أُنهي وحُرِّر بعد عقُود قليلة في المَنْفى.

أمَّا كتابا أخبار الأيَّام الأوَّل والثّاني ـ اللّذَان يُشكّلان التّأليف التّاريخي الكبير الثّالث في الكتاب المُقدَّس العبْريّ، الذي يُعالج تاريخ شعب إسرائيل قُبيل عهد النَّفْي ـ؛ فقد تمَّ وَضْعُهُمَا في القرن الخامس أو الرّابع ق. م؛ أيْ بعد عدَّة قُرُون من الأحداث التي يصفانها. ويميل المنظور التّاريخي للكتابَيْن ـ بشدَّة ـ لمصلحة الادّعاءات التّاريخيَّة والسّياسيَّة لسُلالة داود ولأُورشليم؛ ويُهملان الشّمال كُلّيّاً تقريباً.

يعكس كتابا أخبار الأيَّام ـ بأساليب عديدة، بشَكْل فردي ـ عقيدة وحاجات أُورشليم المعبد (أو الهيكل) الثّاني؛ حيثُ يُعيد تشكيل الجُزء الأكبر من القصَّة التّاريخيَّة، التي كانت مُدوَّنة ومكتوبة من قبلُ. لهذه الأسباب لن نرجع في كتابنا هذا ـ إلاَّ قليلاً ـ لكتابَيْ أخبار الأيَّام، في حين سيبقى تركيزنا على أسفار التّوراة الخمسة المُبكِّرة، وعلى التّاريخ التّثنوي Deuteronomistic History.

وكما سنرى في الفُصُول القادمة؛ لقد زوَّدنا علْم الآثار بأدلَّة كافية لدَعْم الاعتقاد الجديد بأنَّ اللُّبَّ والجوهر التّاريخي للتّوراة والتّاريخ التّثنوي، إنَّما تمَّ تدوينه جوهرياً في القرن السّابع ق.م، لذا؛ سنُلقي الضّوء على مَمْلَكَة يهُوذا في القرنَيْن الثّامن والسّابع ق.م، وهُو الزّمن الذي بدأت فيه هذه العَمَليَّة الأدبيَّة بجدِّيَّة، وسنُثبت - بالأدلَّة - أنَّ الأسفار الخمسة للتّوراة - في مُعظمها - إنَّما هي خَلْقٌ مَلَكيٌّ مُتأخِّر، يهدف إلى الدّعوة إلى عقيدة وحاجات مَمْلَكَة يهُوذا، ولذا؛ فهي وثيقة الصّلة بالتّاريخ التّثنوي. وسنُؤيِّد العُلماء الذين يرون أنَّ التّاريخ التّثنوي جُمع - بشَكْل رئيس - في عهد الملك "يُوشيًّا" **Josiah**، بهدف تقديم تبرير إيديُولُوجي لطُمُوحات سياسيَّة خاصَّة، ولإصلاحات دينيَّة مُعيَّنة.

تاريخٌ، أو، ليس تاريخاً؟

لعب علْم الآثار - دائماً - دوراً حاسماً في النّقاشات المُتعلِّقة بتأليف الكتاب المُقدَّس العبْريّ ووثاقة أخباره التّاريخيَّة. وقد بدا علْم الآثار - في بادئ الأمر - داحضاً لزَعْم النُّقَّاد الأكثر راديكاليَّةً، الذين كانوا يرون أنَّ الكتاب المُقدَّس العبْريّ كان تأليفاً مُتأخِّراً، وأنَّ مُعظمه غير موثوق به من النّاحية التّاريخيَّة. فمُنْذُ نهاية القرن التّاسع عشر؛ ومع بدء الاكتشافات الأثريَّة الحديثة لأراضي الكتاب المُقدَّس العبْريّ، أثبتت سلسلة الاكتشافات المُدهشة وعُقُود من التّنقيب عن الآثار والتّفسير الأثري المُتواصل الذي قام به كثير من الباحثين، أنَّ روايات الكتاب المُقدَّس العبْريّ جديرة بالثّقة، بشَكْل أساسي، من حيثُ ما يتعلَّق منها بالخُطُوط العامَّة الرّئيسيَّة لقصَّة إسرائيل القديمة. وظهر أنَّه حتَّى ولو كان نصُّ الكتاب المُقدَّس قد كُتب بعد فترة طويلة من وُقُوع الأحداث التي يصفها، إلاَّ أنَّه لابُدَّ أنْ تكون كتابته قد استندت في جُزء كبير منها على ذكريات محفوظة بدقَّة. وقد استند هذا الاستنتاج على عدَّة أنواع جديدة من الأدلَّة الآثاريَّة والتّاريخيَّة.

المُطابقات الجَغرافيَّة:

بالرّغم من أنَّ الحُجَّاج والمُستكشفين الغربيِّين طالما تجوَّلوا في أرض الكتاب المُقدَّس العبْريّ مُنْذُ العهد البيزنطي، إلاَّ أنَّه - فقط - بعد تقدُّم الدّراسات التّاريخيَّة والجَغرافيَّة الحديثة في أواخر القرن الثّامن عشر وأوائل القرن التّاسع عشر، تمكَّن العُلماء المُتبحِّرون في الكتاب

المُقدَّس العبْريّ، وفي المصادر التّاريخيَّة الأُخرى، من البَدْء بإعادة بناء المشهد الطّبيعي لإسرائيل القديمة، على أساس علْم الطُّوبُوغرافيا، والإشارات التّوراتيَّة، والبقايا الأثريَّة، بَدَلاً من الاعتماد على التّقاليد الإكليرُوسيَّة (الكَنَسيَّة) المُتعلِّقة بالأماكن المُقدَّسة المُختلفة. وكان رائد هذا الميدان القسّ البرُوتستانتي الأمريكي الجماعي[1] "إدوارد رُوبنسن" الذي قام بعمليَّتَيْ استكشاف طويلتَيْن في فلسطين العُثمانيَّة عامَيْ 1838 و1852، في مُحاولة منه لدَحْض نَظَريَّات نُقَّاد الكتاب المُقدَّس العبْريّ بتحديد أماكن المواقع المذكورة في الكتاب المُقدَّس العبْريّ، والتَّحقُّق من الصِّحَّة التّاريخيَّة لوُجُودها.

وإذا كانت بعض المواقع الرّئيسيَّة للتّاريخ التّوراتي لم تُنسَ أبداً، وبقيت نفسها إلى يومنا هذا، مثل أُورشليم (القُدْس)، وحبرون (الخليل)، ويافا، وبيت شان، وغزَّة.. فإنَّ مئات الأماكن الأُخرى التي ذُكرت في الكتاب المُقدَّس العبْريّ بقيت مجهولة، ولكنْ؛ بالاستفادة من المعلومات الجَغرافيَّة التي يحتويها الكتاب المُقدَّس العبْريّ، ومن الدّراسة الدّقيقة والمُتأنِّية للأسماء العَرَبيَّة الحديثة للمواقع والأمكنة في البلاد، وَجَدَ "رُوبنسن" أنَّه من المُمكن التَّعرُّف على عشرات التّلال والخرابات القديمة التي تُمثِّل المواقع التّوراتيَّة التي كانت مَنْسيَّة سابقاً.

استطاع رُوبنسن وخُلفاؤه التَّعرُّف على الآثار الواسعة في أماكن مثل الجيب el-Jib، وبيتين Beitin، وسيلون Seilun، وكُلُّها شمال أُورشليم (القُدْس)، على أنَّها هي المواقع نفسها المُحتملة لجبعون Gibeon، وبيت إيل Bethel، وشيلوه Shiloh التّوراتيَّة. وكانت هذه العَمَليَّة ذات تأثير وفعاليَّة - بشَكْل خَاصٍّ - في المناطق التي كانت قد سُكنَت - بشَكْل مُستمرٍّ - على مدار القُرُون؛ وحيثُ تمَّت المُحافظة على اسم الموقع نفسه. وقد أدركت أجيال لاحقة من العُلماء بأنَّ في الأماكن الأُخرى؛ حيثُ لا تحمل الأسماء الحديثة أيّ علاقة أو ارتباط بالمواقع التّوراتيَّة التي كانت تقع على مقربة منها؛ فإنَّه ثمَّة معايير أُخرى؛ مثل حجم وأنواع البيانات الفخَّاريَّة يُمكن استعمالها للتَّعرُّف على المنطقة. وهكذا أُضيفت مواقع "مَجدُّو" Megiddo، و"حاصُوْر" Hazor، و"لَخيش" Lachish، وعشرات المواقع التّوراتيَّة الأُخرى - بشَكْل تدريجي - إلى البناء المُعاد تأسيسه لجَغرافيا "الكتاب المُقدَّس العبْريّ".

---

(1) أيْ الذي ينتمي لطائفة الجماعيِّين Congregationalist وهي إحدى الطوائف البرُوتستانتيَّة. (المُترْجِم).

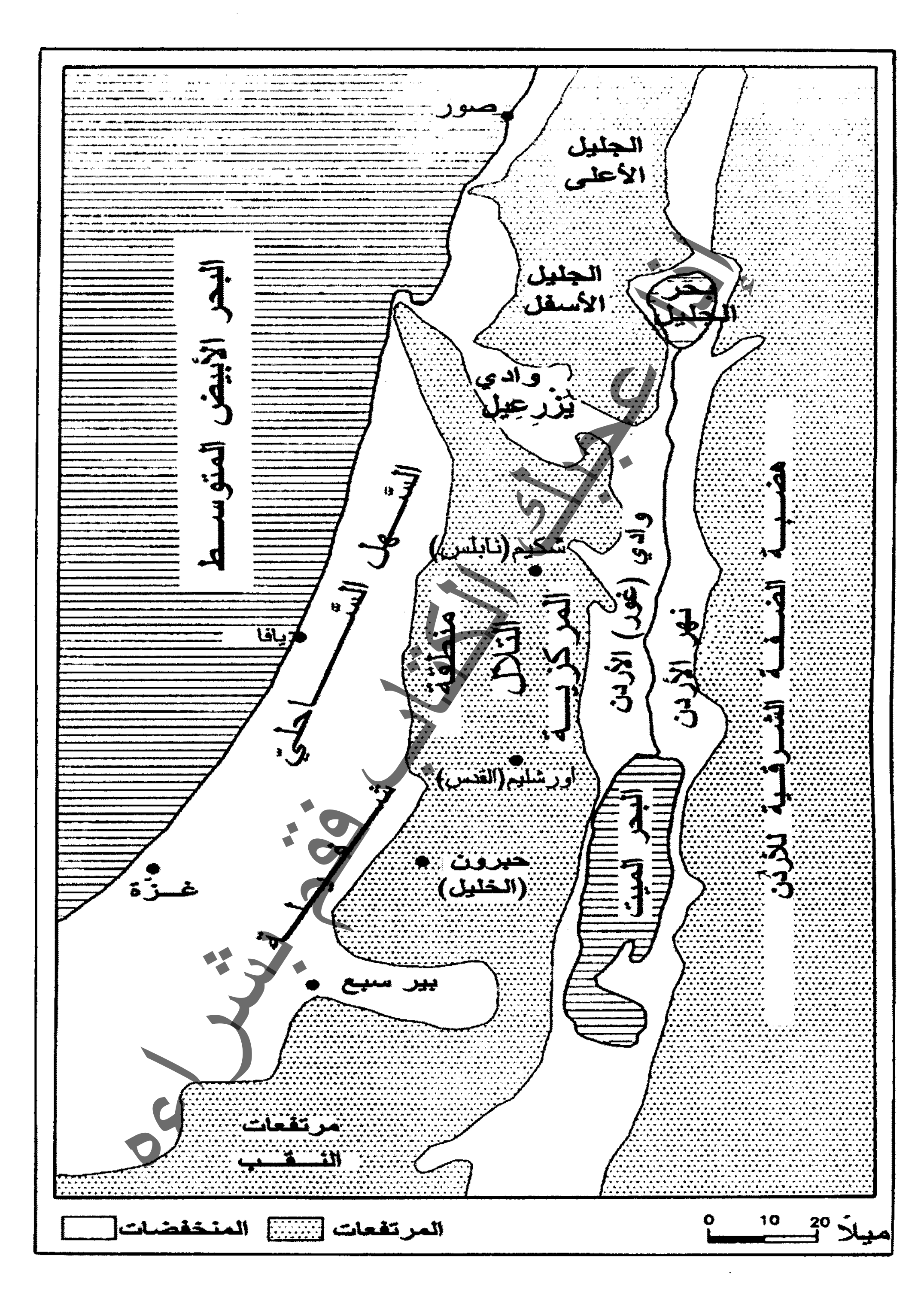
في أواخر القرن التّاسع عشر؛ أخذ مُهندسو الجيش البريطاني العاملون في صُنْدُوق استكشاف فلسطين على عاتقهم القيام بهذا العمل بطريقة مُنظَّمة جداً، وقاموا برَسْم وتأليف خرائط طُوبُوغرافيَّة دقيقة وكاملة التّفصيل لجميع أنحاء البلاد، من منابع نهر الأُردُن في الشّمال، إلى بئر سبع في النَّقَب في الجنوب.

وكان الأمر الأكثر أهمِّيَّة، حتَّى من التَّعرُّف الخاصّ على بعض المواقع، هُو حُصُول الأُلفة المُتزايدة بالمناطق الجَغرافيَّة الرّئيسيَّة لأرض "الكتاب المُقدَّس العبْري" (انظرْ الشّكل رَقْم 2 في الصّفحة التّالية): السّهل السّاحلي الواسع والخصب للبحر الأبيض المُتوسِّط، تلال "شفيلة Shephelah" التي ترتفع لتصل إلى تلال البلاد المركزيَّة في الجنوب، صحراء النَّقَب القاحلة، منطقة البحر الميِّت ووادي الأُردُن، منطقة التّلال الشّماليَّة؛ والوُديان الواسعة في الشّمال. كانت الأرض التّوراتيَّة لإسرائيل منطقة ذات تناقضات مناخيَّة وبيئيَّة صارخةٍ. كما أنَّها عملت -أيضاً- كَجسرٍ أرضيٍّ طبيعيٍّ بَيْن حضارتَيْن عظيمتَيْن؛ أيْ حضارة مصر، وحضارة بلاد ما بَيْن النَّهرَيْن. وقد أثبتت مناظرها الطّبيعيَّة المُميَّزة وظُرُوفها المناخيَّة تلاؤماً دقيقاً تماماً، مع ما تعكسه القصَّة التّوراتيَّة وتذكره من أوصاف في كُلِّ حالة وحادثة.

آثار وسجلاَت من مصر وبلاد ما بَيْن النَّهرَيْن:

بُذلَت -أثناء العُصُور الوُسْطى وعصر النّهضة- مُحاولاتٌ مُتكرِّرةٌ لتأسيس جدولٍ تاريخيٍ قياسيٍ للأحداث الموصوفة في "الكتاب المُقدَّس العبْري"، لكنَّ أغلب تلك المُحاولات كانت حرَفيَّة بشكْل طيِّع جداً. من هُنا؛ برزت الحاجة إلى مصادر خارجيَّة لتحقيق الجدول التّاريخي لداخل "الكتاب المُقدَّس العبْري"، وقد وُجدَت تلك المصادر -في النّهاية- في العاديات والأوابد الأثريَّة لاثنتَيْن من أكثر الحضارات أهمِّيَّة وأكثرها ثقافة في العالم القديم.

مُنْذُ أواخر القرن الثّامن عشر، بدأت مصر تُصبح -بآثارها التّاريخيَّة المهيبة، وكُنُوزها الواسعة من النُّقُوش الهيرُوغليفيَّة- حقلاً خَصْباً لدراسات العُلماء المُستكشفين الأُورُوبيِّين. لكنْ؛ لم تظهر أهمِّيَّة القيمة التّاريخيَّة للآثار المصريَّة في التَّعرُّف على أزمنة الأحداث التّاريخيَّة للكتاب المُقدَّس، وربَّما تحقيقها وتثبيتها، إلاَّ بعد فَكِّ رُمُوز اللُّغة الهيرُوغليفيَّة المصريَّة (على



الشّكْل 2: المناطق الجَغرافيَّة لأرض فلسطين

أساس حَجَر الرّشيد ثُلاثيّ اللُّغة) منْ قبَل العالم الفرنسي "جان فرانسوا شامبليون" Jean-Francois Champollion في العشرينات من القرن التّاسع عشر (1820). وعلى الرّغم من بقاء الهُويَّة الحقيقيَّة للفراعنة الخاصِّين، المذكورين في قصَّة يُوسُف وقصَّة الخُرُوج في التّوارة، مُبهَمة، أو غير أكيدة، إلاَّ أنَّ هُناك ارتباطات أُخرى أصبحت واضحةً تماماً. فقد ذكَرَت الْمسَلَّة[1] التي أقامها الفرعون منفتاح Merneptah سنة 1207 ق.م، نصراً عظيماً على شعبٍ سُمِّيَ إسرائيل. وفي عصرٍ بعده بقليلٍ، تَمَّ التَّعرُّف على الفرعون"شيشانق" Shishak (الذي يذكر سفْر الْمُلوك الأوَّل: 14 / 25 أنَّه هاجم أُورشليم مُطالباً ملكها بدَفْع جزية باهظة، أثناء السّنة الخامسة من عهد حُكْم ابن سُلَيْمَان) أنَّه هُو نفسه الفرعون شيشَنْق الأوَّل Sheshonq1 من السُّلالة الْمَلكيَّة الثّانية والعشرين؛ الذي حَكَمَ من سنة 945 إلى 924 ق.م، وقد تَرَكَ وَصْفَاً لحملته تلك على حائط في معبد آمون Amun في الكرنك، في مصر العُليا.

وجاء المصدر الغني الآخر للاكتشافات الْمُفيدة لكتابة جدول الأحداث الزّمني والْمُطابقات التّاريخيَّة، من السُّهُول الواسعة الواقعة بيْن نهرَيْ الفُرات ودجلة؛ أيْ المنطقة القديمة في بلاد ما بَيْن النَّهرَيْن. فبدءاً من أربعينات القرن التّاسع عشر (1840)، بدأت بعثات علْميَّة آثاريَّة من إنجلترا، وفرنسا، وفيما بعد؛ من الولايات الْمُتَّحدة وألمانيا، باكتشاف الْمُدُن، والقُصُور الواسعة، والأرشيفات المسماريَّة للإمبراطوريَّتَيْن العظيمتَيْن الآشُوريَّة والبابليَّة. وللمرَّة الأُولى، مُنْذُ عهد الكتاب الْمُقدَّس العبْريّ، تمَّ اكتشاف أهمِّ الآثار والأوابد الرّئيسيَّة والْمُدُن لتينك الإمبراطُوريَّتَيْن الشّرقيَّتَيْن القويَّتَيْن. لقد اكتشفوا أنَّ مُدُناً مثل نينوى وبابل، المعروفة سابقا في "الكتاب الْمُقدَّس العبْريّ"، كانت ـ في الواقع ـ عواصم لإمبراطُوريَّات قويَّة وعُدوانيَّة، قام فنَّانُوها وكُتَّابها بتوثيق حملاتها العسكريَّة وأحداثها السّياسيَّة ـ التي كانت تقع في زمنهم ـ كُلِّيّاً وبنَحْو شاملٍ.

(1) الْمسَلَّة: عمود طويل مُربَّع مُدبَّب الرأس، كان يستخدمه المصريُّون القُدماء وغيرهم من الأمم الْمُجاورة، وينقشُون على جوانبه كتابات تُسجِّل أحداثاً تاريخيَّة مُعيَّنة كتواريخ مُلُوكهم أو معاركهم وانتصاراتهم، وما إلى ذلك. (الْمترجم).

وهكذا تمَّ التَّعرُّف على عددٍ من المُلوك التّوراتيِّين المُهمِّين في الأرشيفات المسماريَّة لبلاد ما بَيْن النَّهرَيْن، مثل مُلُوك مَمْلَكَة إسرائيل: عُمري Omri، وآحاب Ahab، وياهو Jehu، ومُلُوك مَمْلَكَة يهُوذا: حَزَقيًّا Hezekiah ومَنَسَّى وmanasseh، من بَيْن آخرين.

وسمحت هذه الإشارات الخارجيَّة للعُلماء برُؤية تاريخ الكتاب المُقدَّس العبْريّ من منظور أوسع، وبمُزامنة عُهُود المُلوك التّوراتيِّين مع أنظمة تاريخيَّة أكثر كمالاً في الشّرق الأدنى القديم. وبدأت تُقَام الارتباطات، شيئاً فشيئاً، وتُحَدَّدُ - بدقَّةٍ - تواريخُ حُكْم مُلُوك مَمْلَكَتَيْ إسرائيل ويهُوذا، وتواريخ حُكْم الحُكَّام الآشُوريِّين، والبابليِّين، والفراعنة المصريِّين، وتُرَتَّب - لأوَّل مرَّةٍ - ترتيباً تاريخياً دقيقاً جداً.

وبالإضافة لذلك؛ فقد سلَّطت السِّجلاَّت الأقدم بكثير، لحضارات ما بَيْن الرّافدَيْن ومصر، في العصر البرُونزي المُتوسِّط والمُتأخِّر (2000 - 1150 ق. م)، والتي تمَّ اكتشافها في مواقع قديمة مثل ماري، وتلّ العمارنة، ونُوزي، أضواءً مُهمَّة على عالم الشّرق الأدنى القديم، مُوضحَةً البيئة الثّقافيَّة التي خرج من رحمها - في النّهاية - "الكتاب المُقدَّس العبْريّ".

كما وجدت - أيضاً - نُقُوش مُتفرِّقة في المناطق الأقرب إلى أرض إسرائيل [يقصد فلسطين المُحتلَّة (المُترجم)]، قدَّمت ارتباطات مُفيدة ومُحدَّدة أكثر. ففي وصف الانتصار الذي دوَّنه الملك "ميشا" Mesha المُوآبي Moabite، والذي تمَّ اكتشافه في القرن التّاسع عشر في الضِّفَّة الشّرقيَّة لنهر الأُردُن، ذُكر انتصار الملك "ميشا" على جيُوش إسرائيل، مُعطياً شهادة خارجيَّة على حربٍ وقعت بَيْن إسرائيل ومُوآب، رواها سفْر المُلُوك الثّاني: 3/ 4 - 27. وفي عام 1993؛ تمَّ اكتشاف نَقْشٍ فريدٍ ذي أهميَّة بالغةٍ في التّوثيق والتّحقيق التّاريخي في موقع تلّ دان Tel Dan في شمال إسرائيل [فلسطين المُحتلَّة]، يُسجِّل - على ما يبدو - انتصار الملك الآرامي "حزائيل" Aramean Hazael على ملك إسرائيل وملك "بيت داود" في القرن التّاسع ق. م، وهكذا زوَّدنا هذا النَّقْش - مثلما فعل النَّقْش المُؤابي - بسَنَدٍ هامٍّ لتاريخ إسرائيل القديمة.

تنقيب المواقع التّوراتيّة:

حتّى اليوم، جاءت أهمُّ مصادر الشّواهد المُتعلّقة بالسّياق التّاريخي للكتاب المُقدّس، من أكثر من مئة سنة من عمليّات التّنقيب الأثريّة الحديثة في إسرائيل [فلسطين المُحتلّة]، والأُردُن، والمناطق المُجاورة. وبشَكْل يرتبط ـ بنَحْو وثيق ـ بالتّقدُّم في تقنيّات الحفريّات الأثريّة على مُستوى العالم، تقدّم علْم الآثار التّوراتي ـ أيضاً ـ بنَحْو؛ استطاع معه العُلماء أنْ يُميِّزوا سلسلة طويلة من أنماط الفنِّ المعماري سهلة التّمييز، والأشكال الفخّاريّة، والمصنوعات اليدويّة الأُخرى، بنَحْو؛ مكّنَ أولئك العُلماء ـ حتّى الآن ـ من تحديد تواريخ مُستويات وقُبُور المُدُن المدفونة تحت الأرض بدرجة عالية من الدّقّة.

وقد ركّز هذا الفرع من علْم الآثار ـ الذي كان رائده العالم الأمريكي وليام إف أولبرايت **William F Albright** ـ في أوائل القرن العشرين ـ في الغالب ـ على تنقيب هضاب المُدُن الكبيرة (تُدعى "التّلال" في العَرَبيّة، و"تل" في العبْريّة)، التي تتكوّن من مُستويات مُتداخلة لعدّة مُدُن، يُمكن تتبُّع تطوُّر المُجتمع، والنُّمُوّ الحضاري فيها على مدى ألف عام.

بعد عُقُود من التّنقيب؛ استطاع الباحثون أنْ يُعيدوا بناء السّياق الآثاري الواسع الذي يجب أنْ يُوضع فيه التّاريخ التّوراتي (انظرْ الشّكل رَقْم 3). بدءاً من أوّل شاهد على وُجُود الزّراعة والمُجتمعات البشريّة المُستوطنة في المنطقة في نهاية العصر الحجري، واصل عُلماء الآثار تحديد صُعُود الحضارة الحضريّة في العصر البرُونزي (3500 ـ 1150 ق . م).

أزمنة علْم الآثار(*)

العصر البرُونزي المُبكّر	3500 ـ 2200 ق . م
العصر البرُونزي الأوسط	2200 ـ 2000 ق . م
العصر البرُونزي المُتوسّط	2000 ـ 1550 ق . م

(*) تتبع هذه التّواريخ نظام هذا الكتاب. تُعَدُّ التّواريخ المذكورة من العصر البرُونزي المُبكّر، وحتّى العُصُور البرُونزيّة الوُسْطَى تقريبيّة، وتعتمد ـ بشَكْل أساسي ـ على اعتبارات ثقافيّة. أمّا التّواريخ من العصر البرُونزي المُتأخّر إلى العصر الفارسي؛ فهي تعتمد ـ بشكْل أساسي ـ على الأحداث التّاريخيّة.

العصر البرُونزي المُتأخِّر	1550 ـ 1150 ق . م
العصر الحديدي الأوَّل	1150 ـ 900 ق . م
العصر الحديدي الثَّاني	900 ـ 586 ق . م
العصر البابلي	586 ـ 538 ق . م
العصر الفارسي	538 ـ 533 ق . م

مُلُوك إسرائيل ويهُوذا(*)

صموئيل 1025 ـ 1005 ق . م .

داود 1005 ـ 970 ق . م .

سُلَيْمان 970 ـ 931 ق . م .

يهُوذا		إسرائيل	
رحبُعام	931 ـ 914	يربعام الأوَّل	931 ـ 909
أبيَّام	914 ـ 911	ناداب	909 ـ 908
آسا	911 ـ 870	بعشا	908 ـ 885
يوشافاط	870 ـ 846(**)	إيلة	885 ـ 884
يورام	851 ـ 843(**)	زمْري	884
أحزْيا	843 ـ 842	تبني	884 ـ 880(***)
عَتَلْيا	842 ـ 836	عُمْري	884 ـ 873
يوآش	836 ـ 798	آخاب	873 ـ 852
أمَصْيا	798 ـ 769	أحزيا	852 ـ 851
عَزَرْيا	785 ـ 733(**)	يورام	851 ـ 842
يوتام	743 ـ 729(**)	ياهو	842 ـ 814
آحاز	743 ـ 727(**)	يوآحاز	817 ـ 800(**)
حزَقيّا	727 ـ 698	يوآش	800 ـ 784(**)
منسّي	698 ـ 642	ياربعام الثّانى	788 ـ 747

(*) طبقاً لـ Anchor Bible Dictionary ؛ أيْ: قاموس مُرتَكَز (أو سَنَد) الكتاب المُقدَّس، المُجلَّد الأوَّل، الصَّفحة 1010 ، وكتاب "الجدول الزّمني لمُلُوك إسرائيل ويهُوذا"، لـ" غاليل".

(**) يشتمل على اشتراك أكثر من وصيّ على العرش في الحُكْم بنَحْو مُتزامن.

(***) حُكْم مُنافس.

أمون	640 ـ 641	زكريًا الأوَّل	747
يُوشيًا	609 ـ 639	شلُّوم	747
يوآحاز	609	منحيم	737 ـ 747
يوياقيم	598 ـ 608	فقحيا	735 ـ 737
يوياكين	597	فاقَح	732 ـ 735
صدقيا	586 ـ 596	هوشع	724 ـ 732

الشّكل 3: الجدول الزّمني لمُلُوك يهُوذا وإسرائيل.

وتحوُّلها إلى ولايات إقليميَّة في الفترة اللاَّحقة: العصر الحديدي (1150 ـ 586 ق. م)؛ حيثُ من المُفترض أنْ تكون قد حَدَثَتْ أغلب الأحداث التّاريخيَّة الموصوفة في الكتاب المُقدَّس العبْريّ.

وفي نهاية القرن العشرين؛ أظهر علْم الآثار أنَّ هُناك ـ ببساطة ـ الكثير من التّطابقات المادِّيَّة بَيْن الاكتشافات الأثريَّة في إسرائيل [فلسطين المُحتلَّة] وكامل الشّرق الأدنى، والعالم الموصوف في الكتاب المُقدَّس العبْريّ، ممَّا لا يُعطي مجالاً ـ أبداً ـ للزَّعْم بأنَّ الكتاب المُقدَّس العبْريّ كان أدباً كَهَنُوتيّاً مُتأخِّراً وخياليّاً، كُتِبَ بدُون أيِّ أساس تاريخي قاعدة تاريخيَّة مُطلقاً؛ لكنْ؛ في الوقت نفسه؛ كان هُناك الكثير من التّناقضات ـ أيضاً ـ بَيْن الاكتشافات الأثريَّة والقَصَص التّوراتيَّة، ممَّا يمنع القول بأنَّ الكتاب المُقدَّس العبْريّ يُزوِّدنا بوَصْفٍ دقيقٍ ـ تماماً ـ لما حَدَثَ في الحقيقة والواقع.

من التّوضيحات التّوراتيَّة إلى علْم الأجناس البشريَّة لإسرائيل القديمة:

طالما حافظ النُّقَّاد النَّصِّيُّون للكتاب المُقدَّس وعُلماء آثار الكتاب المُقدَّس العبْريّ على مواقفهم المُتعارضة ـ أساساً ـ حول الثّقة التّاريخيَّة للكتاب المُقدَّس، فإنَّهم سيُواصلون العيش في عالَمَيْن ثقافيَّيْن مُنْفَصلَيْن. وقد واصل النُّقَّاد النَّصِّيُّون نَظْرتهم للكتاب المُقدَّس كَمَوضوع للتّحليل والدّراسة النَّقْديَّة المُفصَّلة، وأنَّه يُمكن تقسيمه إلى مصادر أصغر، وأصغر، وكُلٌّ منها إلى مصادر ثانويَّة أُخرى صغيرة، وذلك طبقاً للأفكار الدِّينيَّة أو السّياسيَّة المُتميِّزة، التي يُفترض أنَّ كُلَّ قسم يقوم بإبدائها. وفي الوقت نفسه؛ غالباً ما أخذ عُلماء الآثار القَصَص التّاريخيَّة

للكتاب المُقدَّس على معناها الظّاهري. وبَدَلاً من استخدام المُعطيات النّاتجة عن الحفريَّات الأثريَّة كَمَصدر مُستقلٍّ لإعادة بناء تاريخ المنطقة، واصلوا الاعتماد على قَصَص الكتاب المُقدَّس العبْريّ - خاصَّة؛ الموضوع التّقليدي حول صُعُود ونشأة شعب إسرائيل - لتفسير اكتشافاتهم.

بالطَّبع؛ كان هُناك - دائماً - فَهْم جديدٌ لقصَّة نشأة وتطوُّر إسرائيل كُلَّمَا تقدَّمت التّنقيبات والاستطلاعات. وقد طُرِحَت تساؤلات حول الوُجُود التّاريخي للآباء، وحول تاريخ وحجم الخُرُوج الجماعي لبني إسرائيل من مصر. وطُوِّرَت نَظَريَّات جديدةٌ - أيضاً - تقترح أنْ يكون الغزو الإسرائيلي لأرض كَنْعَان لم يتمَّ بشَكْل حَمْلَة عسكريَّة جماعيَّة، خلافاً لما يُصرُّ سفر يشُوع على روايته، لكنْ؛ بالنّسبة للأحداث التّوراتيَّة التي تبدأ من عهد داود حوالي 1000 ق.م، فإنَّ عُلماء الآثار يُجمعون - بلا خلاف، على الأقلّ حتَّى التّسعينيَّات - على أنَّه يُمكن قراءة الكتاب المُقدَّس العبْريّ كَوَثيقة تاريخيَّة موثوقة بشَكْل أساسي.

ولكنْ؛ على أيَّة حال، مُنْذُ السّبعينات، بدأت اتِّجاهاتٌ جديدةٌ تُؤثّر على منهج ومسيرة علْم الآثار التّوراتي، وتُغيِّر - في النّهاية - تركيزه الرّئيسي، وتَقلب - رأساً على عقب - تلك العلاقة التّقليديَّة بَيْن ما هُو من صُنْع الإنسان، وبَيْن النَّصّ التّوراتي.

للمرَّة الأُولى؛ لا يسعى عُلماء الآثار، الذين يعملون في أراضي التّوراة، لاستخدام الاكتشافات النّاتجة عن التّنقيبات في إيضاح نُصُوص الكتاب المُقدَّس العبْريّ؛ بل يتحوَّلون - بشَكْل قويٍّ - إلى أُسلُوب ومنهج العُلُوم الاجتماعيَّة، ويتَّجهون إلى فَحْص ودراسة الحقائق الإنسانيَّة الكامنة وراء النَّصّ.

في تنقيب المواقع القديمة، لم يَعُدْ التّأكيد مُنصبّاً - فقط - على صلة الموقع بالأمكنة المذكورة في الكتاب المُقدَّس العبْريّ، بل أصبحت المصنوعات اليدويَّة المُستخرَجَة من الحفريَّات الأثريَّة، والنّماذج المعماريَّة، وأنماط المُستوطنات البشريَّة، بالإضافة إلى بقايا العظام الحَيَوانيَّة، والبُذُور، والتّحليلات الكيميائيَّة لعيِّنات التُّربة، والنّماذج الأنثْرُوبُولُوجيَّة (علْم أصل الإنسان) المُستخرَجَة - على مدى زمنٍ طويل - من العديد من الثّقافات العالميَّة، أصبحت كُلّ هذه المعلومات تُستخدَم كَمَفَاتيح لإدراك التَّغيُّرات الأوسع في الاقتصاد، والتّاريخ السّياسي،

والمُمارسات الدِّينيَّة، والكثافة السُّكَّانيَّة، والتّركيبة السُّكَّانيَّة ذاتها للمُجتمع الإسرائيلي القديم. وأصبح هُناك عدد مُتزايد من العُلماء يُحاولون - عبْر تبنِّيهم نَفْسَ الطُّرُق المُستخدَمَة من قبَل عُلماء الآثار وعُلماء الإنسانيَّات في المناطق الأُخرى - أنْ يفهموا كيف أثَّر التّفاعل الإنساني مع المُحيط الطّبيعي المُعقَّد والمُتنوِّع لأرض إسرائيل على تطوُّر نظامها الاجتماعي الفريد، ودينها، وتُراثها الرُّوحي الخاصِّ.

رُؤية جديدة للتّاريخ التّوراتي:

لقد سمحت التَّطوُّرات الحديثة في علْم الآثار لنا - أخيراً - بتجسير الفجوة بَيْن دراسة النُّصُوص التّوراتيَّة والاكتشافات الأثريَّة. يُمكننا - الآن - أنْ نرى أنَّ الكتاب المُقدَّس العبْريّ - جنباً إلى جنب الأشكال الفخَّاريَّة المُتميِّزة، وأنماط الفنِّ المعماري، والنُّقُوش العبْريَّة - يُمثِّل نتاج براعة إنسانيَّة مُميَّزة، وأنَّه يُخبرنا بأشياء كثيرة عن المُجتمع الذي أُنتجَ فيه.

ذلك لأنَّه أصبح من الواضح - اليوم - أنَّ ظواهر مثل حفْظ السِّجلاَّت، والمُراسلات الإداريَّة، واليوميَّات المَلكيَّة، وتأليف كتاب مُقدَّس وَطَني - خُصُوصاً؛ إذا كان مثل الكتاب المُقدَّس (التّوراة) في عُمقه وتطوُّره البالغ - كُلُّ ذلك مُرتبط بمرحلة مُعيَّنة من التَّطوُّر الاجتماعي.

لقد قام عُلماء الآثار وعُلماء الإنسانيَّات - الذين يعملون في جميع أنحاء العالم - بدراسة السّياق الذي تظهر فيه أنواع مُتطوِّرة من الكتابة، التي تكون - في كُلِّ حالة تقريباً - دليلاً على تشكيل دولة، تتركَّز السُّلْطَة فيها في مُؤسَّسات وَطَنيَّة مثل شخصيَّات رَسْميَّة، أو حُكْم مَلَكي.

من السّمات الأُخرى التي تدلُّ على هذه المرحلة من التَّطوُّر الاجتماعيّ نذكر الأبنية التّذكاريَّة، والتَّخصُّصات الاقتصاديَّة، وحُضُور شبكَة كَثيفة من المُجتمعات البشريَّة المُتشابكَة، تتراوح في الحجم من المُدُن الكبيرة، إلى المراكز الإقليميَّة، إلى البلدات المُتوسِّطة الحجم، والقُرَى الصّغيرة.

حتَّى فترة قريبة؛ كان كلا: العُلماء النَّصِّيُّون وعُلماء الآثار يفترضون بأنَّ إسرائيل القديمة وَصَلَتْ إلى مرحلة التّشكيل الكامل للدّولة في عهد الحُكْم المَلَكيّ المُتَّحد لداود وسُلَيْمَان.

في الحقيقـة ؛ مـايزال العديـد مـن الاختصـاصيِّين فـي الكتـاب المُقـدَّس يعتقـدُون أنَّ أقـدم مصادر أسفار التّوراة الخمسة هُو الوثيقة "جي J" ، أو الوثيقـة اليَهْويَّة Yahwist ، وبأنَّـها كُتِبَت في دولة يهُوذا ، في عصر داود وسُلَيْمَان ، في القرن العاشر ق . م ، أمَّا نحنُ؛ فسنُثبتُ ـ في كتابنا هذا ـ أنَّ مثل هذا الاستنتاج بعيدٌ جداً عن الواقع .

إنَّ تحليل الشّواهد الأثريَّة يُبيِّن أنَّه لا يُوجد أيُّ دليـلٍ ـ مُطلقاً ـ علـى وُجُـود معرفـة شـاملة للقراءة والكتابة ، أو أيّ خواصّ أُخرى من خواصّ الدّولة الكاملة فـي مَمْلَكَـة يـهُوذا ـ وبشَـكْل خَاصٍّ؛ في أُورشليم ـ حتَّى أكثر من قرنَيْن ونصف تاليَيْن ؛ أيْ نحو نهاية القرن الثّامن ق . م .

بالطَّبع ؛ لا يُوجد عالم آثارٍ يُمكنـه أنْ يُنكر بـأنَّ "الكتـاب المُقـدَّس العـبْري" يحتـوي علـى أساطير ، وأشخاص ، وأجزاء لقَصَـص تعـود لعـهد قديـم جداً ، لكـنْ؛ يُمكـن لعلـم الآثـار أنْ يُظهر بأنَّ التّوراة والتّاريخ التّثنوي Deuteronomistic History يحمـلان بصمـات واضحـةً ، تدلُّ على أنَّ تأليفها وجَمْعها إنَّما تَمَّا ـ لأوَّل مرَّة ـ في القرن السّـابع ق . م ، لماذا الأمـر كذلـك؟ ومـاذا يعني هـذا الأمـر بالنّسبة لفَـهْمنَا للقصَّـة التّوراتيَّة العظيمـة؟ هـذا هُـو الموضـوع الرّئيـس لهذا الكتاب .

سنرى كَم من قَصَص وروايات الكتاب المُقدَّس العبْريّ هُـو مـن نتـاج آمـال ، ومخـاوف ، وطُمُوحات مَمْلَكَة يهُوذا ، التـي بَلَغَـت أوجـها فـي عـهد الملك يوشيًّا فـي نهايـة القـرن السّـابع ق . م ، وسنُثبت بأنَّ الجوهر التّاريخي للكتاب المُقدَّس إنَّما ظهر للوُجُـود ، انطلاقـاً مـن ظُـرُوف رُوحيَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة واضحةٍ ، وَشَكَّلته خلاَّقيَّة وبصيرة نساء ورجال استثنائيِّين . مُعظـم ما أُخذ عُمُوماً على أنَّه تـاريخٌ صحيـحٌ ودقيـقٌ مُسـلَّم بـه ـ كقَصَـص الآبـاء ، والخُرُوج ، وغـزو كَنْعَان ، وحتَّـى قصَّـة الحُكْـم المَلَكي المُتَّحـد المجيـد لـداود وسُـلَيْمَان ـ ليـس ـ فـي الواقـع ـ سـوى تعبيرات خلاَّقة أبْدعَتْهَا حَرَكَة الإصلاح الدِّيني القويَّة التي ازدهرت في مَمْلَكَة يهُوذا في العصر الحديدي المُتأخِّر . وبالرّغم من أنَّ هذه القَصَص ربَّما كانت تستند إلى بعض الوقائع التّاريخيَّة ، إلاَّ أنَّها تعكس ـ بشَكْل أساسي ـ عقيدة كاتبيها وتصوُّرهم للعالم .

سوف نُبيِّن كيف أنَّ قصَّة الكتاب المُقدَّس العبْريّ فُصِّلَت ـ تماماً ـ لتُناسب تقوية الإصلاح الدِّيني والطُّمُوحات التَّوسُّعيَّة الإقليميَّة لِمَمْلَكَة يهُوذا أثناء العُقُود الختاميَّة البالغة الأهمِّيَّة للقرن السَّابع ق.م.

هذا؛ ولكنَّ القول بأنَّ أشهر قَصَص الكتاب المُقدَّس العبْريّ لم تحدث على النَّحو الذي وُصفَتْ به فيه، لا يُقصَد به ـ أبداً ـ التَّلميح إلى أنَّ إسرائيل القديمة ليس لها تاريخ أصيل.

سنُعيد في الفُصُول التَّالية بناء تاريخ إسرائيل القديمة على أساس الأدلَّة الأثريَّة، التي تُشكِّل مصدر المعلومات الوحيد، حول الفترة التَّوراتيَّة، الذي لم يُصحَّح على نطاق واسع، ولم يُحَرَّر، أو يخضع للرَّقابة، فيُحذَف منْ قبَل أجيال عديدة من نُسَّاخ وكُتَّاب الكتاب المُقدَّس العبْريّ. وبمُساعدة الاكتشافات الأثريَّة والسِّجلاَّت الإضافيَّة على الكتاب المُقدَّس العبْريّ، سنرى كيف أنَّ قَصَص "الكتاب المُقدَّس العبْريّ" هي نفسها جُزء من القصَّة الحقيقيَّة، وليست الإطار التَّاريخي المُؤكَّد والقَطْعي الذي يجب أنْ يتَّفق معه كُلُّ اكتشاف مُعيَّن، أو نتيجة مُحدَّدة. ستبتعد قصَّتنا ـ بشَكْل مُثير ـ عن القصَّة التَّوراتيَّة المألوفة. إنَّها ليست قصَّة مَمْلَكَة واحدة، بل مَمْلَكَتَيْن مُختارتَيْن، يُشكِّلان مع بعضهما الجُذُور التَّاريخيَّة لشعب إسرائيل.

وُلدت إحدى المَمْلَكَتَيْن ـ مَمْلَكَة إسرائيل ـ في الوُديان الخصبة والتِّلال المُتحرِّجة لشمال إسرائيل [فلسطين المُحتلَّة]، ونَمَتْ لتُصبح واحدة من بيْن أغنى الممالك وأكثرها عالميَّة، وأقواها في المنطقة. وهي مَمْلَكَة منسيَّة كُلِّيّاً ـ تقريباً ـ اليوم، ماعدا الدَّور الخسيس الذي لَعبتْهُ حسب وَصْف سفْرَيْ المُلُوك الأوَّل والثَّاني من الكتاب المُقدَّس العبْريّ. أمَّا المَمْلَكَة الأُخرى ـ مَمْلَكَة يهُوذا ـ؛ فقد ظهرت في بلاد التَّلّ الجنوبيَّة القاسية الصَّخريَّة، وبقيت حيَّة بفَضْل حفاظها على عُزلتها وولائها العنيف لمعبدها ولسُلالتها المَلَكيَّة.

تُمثِّل هاتان المَمْلَكَتان جانبَيْن لتجربة إسرائيل القديمة، ومُجتمَعَيْن مُختلفَيْن جداً ذوي مواقف مُتفاوتة وهُويَّة وَطَنيَّة مُختلفة. سنتتبَّع ـ خُطوةً خُطوةً ـ المراحل التي اندمج فيها بقُوَّة: تاريخ، وذاكرة، وآمال كلتا المَمْلَكَتَيْن، في كتاب مُقدَّس واحد، شكَّل ـ ويُواصل تشكيل ـ وجه المُجتمع الغربي، أكثر ممَّا فَعَلَتْهُ أيُّ وثيقة مكتوبة أُخرى في التَّاريخ.

الفَصْل (3):

غزو كَنْعَان

لم يكن لقَدَر إسرائيل الوَطَني أنْ يتحقَّق إلاَّ في أرض كَنْعَان فقط. يحكي لنا سفْر "يشُوع" قصَّة حَمْلَة عسكريَّة خاطفة، هُزِمَ - خلالها - مُلُوك كَنْعَان الأقوياء؛ لترث القبائل الإسرائيليَّة أراضيهم. كانت قصَّة انتصار شعب الله على وَثَنيِّين مُتغطرسين، وكانت مَلْحَمَة خالدةً لفَتْح حُدُود جديدة، واحتلال مُدُن جديدة، كان على المُنهزمين فيها أنْ يُعانوا من العُقُوبات النّهائيَّة للطَّرْد، وفقدان المُمتلكات، والموت. إنَّها قصَّة حرب مُثيرة، قصَّة البُطُولة، والخدعة، والثّأر المُرّ، رَوَتْ - كبَعض أكثر قَصَص التّوراة حيَويَّة - سُقُوط جُدران أريحا، ووُقُوف الشّمس عن الحَرَكَة في "جبْعُون"، واحتراق المدينة الكَنْعَانيَّة العظيمة "حَاصُور". والقصَّة تُمثِّل - كذلك - مقالة جَغرافيَّة مُفصَّلة حول المنظر الطّبيعي لكَنْعَان، وتفسيراً تاريخيّاً لكَيفيَّة حُلُول كُلِّ قبيلة من قبائل بني إسرائيل الاثنتَيْ عشرة في ميراثها الإقليمي التّقليدي ضمن الأرض الموعودة.

ولكنْ؛ إذا كان خُرُوج الإسرائيليِّين الجماعي لم يحدث بالشّكْل الموصوف في التّوراة، كما رأينا، فماذا عن غزو كَنْعَان نفسه؟ الواقع؛ أنَّ الإشكالات هُنا أعظم وأكبر؛ إذْ كيف أمْكَنَ لجيش مُمزَّق، يرتحل أفراده مع نساء وأطفال وشيُوخ، قد قدَّم - بعد عُقُود من التّيه في الصّحراء - أنْ يرتقي لإمكانيَّة القيام بغزوٍ فعَّال؟ كيف أمْكَنَ لمثل هذا الرّعاع الفوضوي غير المُنظَّم أنْ يتغلَّب على القلاع العظيمة لكَنْعَان، وجيُوشها المُحترفة، وفيالق عَرَبَاتها المُدرَّبة جيِّداً؟

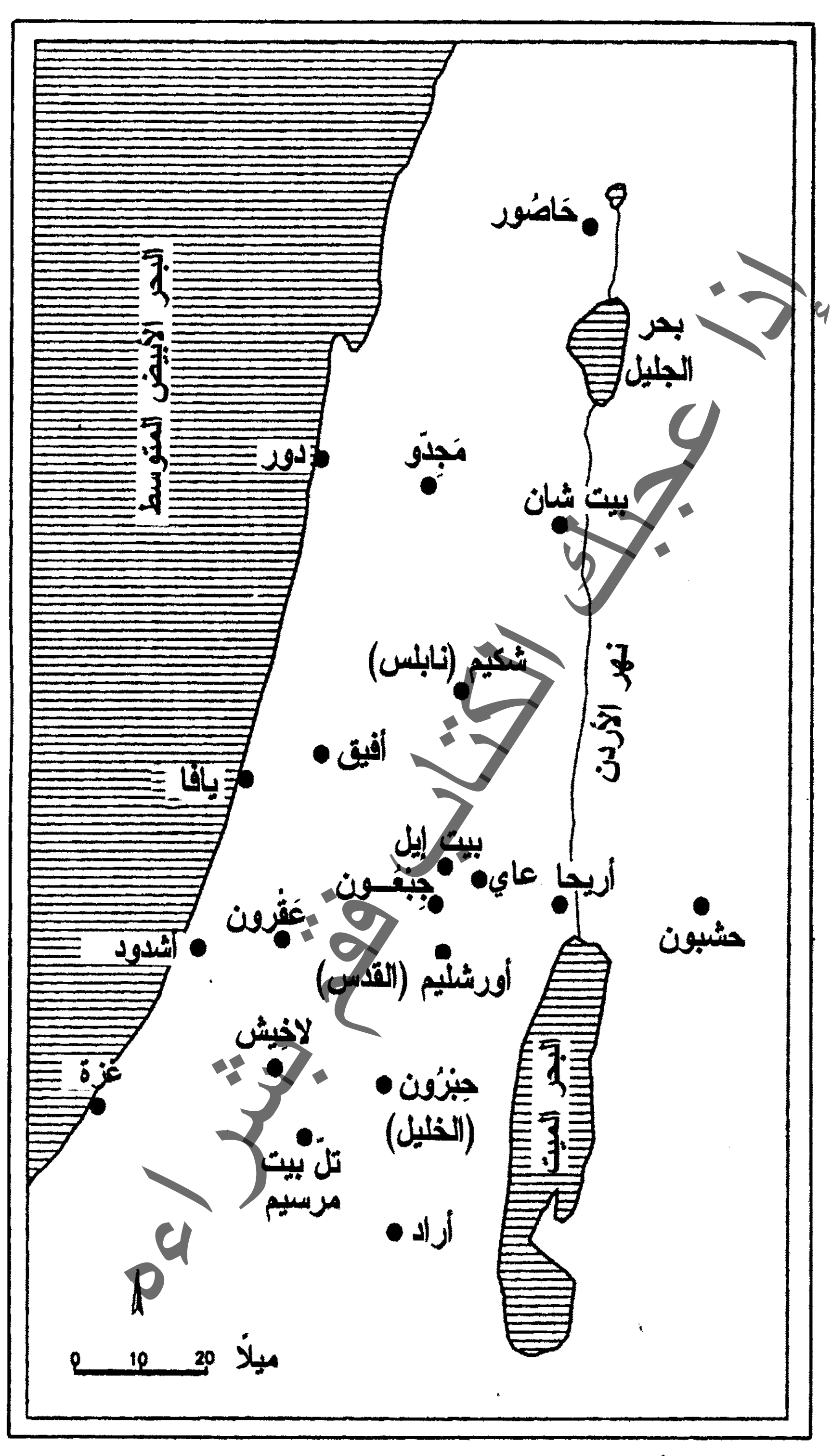
هل حَدَثَ غزوٌ لكَنْعَان حقّاً؟ هل هذه القصَّة المركزيَّة للتّوراة وتاريخ إسرائيل اللاَّحق، تُمثِّل تاريخاً واقعيّاً، أم أُسطُورة؟ على الرّغم من حقيقة أنَّ المُدُن القديمة مثل "أريحا"، "عاي"، "جبْعُون"، "لَخيش"، "حَاصُور"، وتقريباً؛ كُلُّ المُدُن الأُخرى المذكورة في قصَّة الغزو قد تمَّ - فعلاً - تحديد مكانها، وتنقيبها، إلاَّ أنَّ الدّليل على حُصُول الغزو التّاريخي لكَنْعَان من قِبَل

الإسرائيليِّين ـ كما سنرى ـ دليل ضعيف. هُنا أيضاً، يُمكن للأدلَّة الآثاريَّة أنْ تُساعدنا على تمييز أحداث التّاريخ الحقيقيَّة من الصُّور القويَّة للقصَّة التّوراتيَّة الباقية.

خُطَّة معركة يشُوع:

تبدأ قصَّة الغزو في آخر أسفار مُوسى الخمسة؛ أيْ سفْر التّثنية، عندما نعلم أنَّ مُوسى ـ الزّعيم العظيم ـ لن يعيش ليقود بني إسرائيل ـ بنفسه ـ إلى كَنْعَان، بل كان على مُوسى ـ كَأَحَد أفراد الجيل الذي عانى شخصياً مرارة الحياة في مصر ـ أنْ يموت هُو ـ أيضاً ـ دُون دُخُول الأرض الموعودة. قبل موته ودَفْنه على جبل نيبو في مُوآب؛ أكَّد مُوسى على أهمِّيَّة مُراعاة قوانين الله كَمفتاح للنّصر في الغزو القادم، وطبقاً لأوامر الله؛ أوصى لمُساعده القديم يشُوع بن نُون بقيادة الإسرائيليِّين. بعد أجيال من العُبُوديَّة في مصر، وأربعين سنة من التّيه في الصّحراء؛ وَقَفَ الإسرائيليُّون ـ الآن ـ على حُدُود كَنْعَان ذاتها، يفصلهم النّهر عن الأرض التي عاش فيها أسلافهم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقُوب. في هذا الوقت؛ أمَرَ الله أنْ تُطَهَّر الأرض من كُلِّ أثر لعبادة الأوثان، وكان هذا يستلزم إبادة الكَنْعَانيِّين بشكْل تامٍّ.

زحف الإسرائيليُّون ـ بسُرعة ـ تحت قيادة يشُوع ـ الجنرال الرّائع الذي كان يتمتَّع بذكاء المُفاجأة التّكتيكيَّة ـ من نصر إلى آخر في سلسلة مُذهلة من الحصارات ومعارك الحُقُول المفتوحة. تمَّت السَّيْطَرَة ـ فوراً ـ على مدينة أريحا القديمة في الضِّفَّة الغربيَّة للأُردُن، وهُو موقعٌ كان لابُدَّ للإسرائيليِّين أنْ يستولوا عليه، حتَّى يتمكَّنوا من تأسيس رأس جسر. فيما كان الإسرائيليُّون يستعدّون لعُبُور الأُردُن؛ أرسل يشُوع جاسوسَيْن إلى أريحا؛ لاستطلاع أخبار استعدادات العدوِّ وقُوَّة تحصيناته. عاد الجاسوسان بأخبار مُشجِّعة (زوَّدتْهُمَا بها عاهرة تُسمَّى "راحَاب") تُفيد بأنَّ السُّكَّان استولى عليهم الخوف، من الآن، بسبب أخبار اقتراب الإسرائيلين. عَبَرَ شعب إسرائيل نهر الأُردُن فوراً، يتقدَّمه تابوت العهد الذي يقود المُعسكر. إنَّ قصَّة الغزو اللاَّحقة لأريحا مشهورة ومعروفة لدرجة تُغنينا عن إعادة روايتها هُنا: اتَّبع الإسرائيليُّون أوامر الله، التي بلَّغهم إيَّاها يشُوع، وزحفوا بجدِّيَّة، حتَّى أحاطوا بأسوار المدينة العالية، وفي اليوم السّابع، مع انفجار أبواق حرب الإسرائيليِّين التي تُصيب بالصَّمَم، تساقطت الأسوار الهائلة لأريحا (يشُوع 6).



الشَّكْل 9: أهمُّ المواقع ذات العلاقة بقَصَص الغزو.

وكان الهَدَف القادم هُو مدينة "عاي"، التي تقع قُرْب "بيت إيل"، في مُرتفعات كَنْعَان، في مكان استراتيجي، على أحد الطُّرُق الرَّئيسيَّة التي تقود من وادي الأُردُن إلى بلاد التَّلّ. هذه المرَّة؛ لم يتمَّ الاستيلاء على المدينة بفَضْل مُعجزة، بل بفَضْل وسائل يشُوع الرّائعة، التي تُذكِّر ببراعة المُحاربين اليُونانيِّين في فَتْحهم لحصن طروادة. بَيْنما صفَّ يشُوع مُعظم قُوَّاته في العراء إلى شرق المدينة؛ سَخِرَ من المُدافعين عن "عاي"، عندما بيَّتهم، بنَحْو سرِّيّ، بكَمين من الجانب الغربي. وعندما اندفع مُحاربو "عاي" خارج المدينة لمُواجهة الإسرائيليِّين ومُلاحقتهم إلى الصَّحراء، دَخَلَتْ وحدة الكمين المَخْفيَّة المدينة، التي بقيت بلا مُدافعين، وأشعلت النّار فيها، ثُمَّ عكس يشُوع تراجعه، وعاد إلى "عاي"، وذبح كُلَّ أهاليها، وأخذ كُلَّ ما فيها من الماشية وأسلاب المدينة كَغَنيمة حربيَّة، وشنق ملك "عاي" بشَكْل مُخزٍ على شجرة. (يشُوع 8/ 1 ـ 29).

بدأ الرُّعب ينتشر ـ الآن ـ بَيْن أهالي المُدُن الأُخرى في كَنْعَان. لَمَّا سمع "الجِبْعُونيُّون"، الذين كانوا يقطنُون أربعة مُدُن شمال أُورشليم (القُدْس)، ما حلَّ بأهالي "أريحا" و"عاي"، أرسلوا مبعوثين إلى يشُوع، مُلتمسين منه الرّحمة. ولأنَّهم أكَّدوا ليشُوع ـ بكُلِّ إصرار ـ أنَّهم أجانب في هذه البلاد، وليسوا من مُواطنيها الأصليِّين (الذين أمر اللهُ بإبادتهم جميعاً)، وافق يشُوع على السّلام معهم، لكنْ؛ عندما تبيَّن أنَّ أهالي "جِبْعُون" قد كذبوا، وأنَّهم كانوا ـ في الواقع ـ من سُكَّان الأرض الأصليِّين، عاقبهم يشُوع بإعلان أنَّهم سَيَعملون دائماً كَـ" مُحْتَطبي حَطَبٍ، وَمُسْتَقي مَاءٍ للْجَمَاعَة (أيْ للإسرائيليِّين)"، (يشُوع 9/ 27).

أدَّت الانتصارات الأُولى للإسرائيليِّين الغُزاة في أريحا، وفي بلدات ريف التّلال المركزيَّة، إلى استيلاء القلق على المُلُوك الأكثر قُوَّة في كَنْعَان. وسُرعان ما أقام "أدُوني صَادَق" مَلكُ أُورشليم (القُدْس)، تحالفاً عسكريّاً مع ملك حبرون (الخليل) في المُرتفعات الجنوبيَّة، ومع مُلُوك "يَرْمُوتَ"، و"لَخيش"، و"عَجْلُونَ" في مُرتفعات "شفيلة" **Shephelah** إلى الغرب. سار المُلُوك الكَنْعَانيُّون بقُوَّاتهم المُشتركة، وعسكروا حول "جبْعُون"، لكنَّ يشُوع ـ الذي ظلَّ يزحف طوال اللّيل من وادي الأُردُن ـ فاجأ جيش تحالف أُورشليم (القُدْس) بحَرَكَة خاطفة، فَهَرَبَتْ القُوَّات الكَنْعَانيَّة مذعورةً على طُول الحافَّة الحادَّة لـ "بَيْت حُورُونَ" إلى الغرب. وأثناء هُرُوبهم؛ ضربهم اللهُ بمطر من الحجارة العظيمة المُتساقطة من السّماء.

في الحقيقة؛ تُخبرنا التّوراة بأنَّ: "الذينَ مَاتُوا بحجَارَة الْبَرَد هُم أَكْثَرُ منَ الذينَ قَتَلَهُمْ بَنُو إسْرَائيلَ بالسَّيْف" (يشُوع 10/ 11). رغم أنَّ الشّمس مالت إلى المغيب، إلاَّ أن عمليَّات القتْل التي كان يُنجزها الآتقاي لم تنته بعد، لذا؛ اتَّجه يشُوع إلى الله في حُضُور كامل جيشه الإسرائيلي، ودعا ربَّه أنْ يُوقف غُرُوب الشّمس، ويجعلها تقف بلا حراك، حتَّى يتمَّ إنجاز الإرادة الإلهيَّة:

[فَدَامَت الشّمْسُ، وَوَقَفَ الْقَمَرُ، حتَّى انْتَقَمَ الشّعْبُ منْ أَعْدَائه. أَلَيْسَ هَذَا مَكْتُوباً في سفْر يَاشَرَ؟ فَوَقَفَت الشَّمْسُ في كَبد السَّمَاء، وَلَمْ تَعْجَلْ للْغُرُوب نَحْوَ يَوْمٍ كَاملٍ. 14وَلَمْ يَكُنْ مثْلُ ذَلكَ الْيَوْم قَبْلَهُ، وَلاَ بَعْدَهُ، سَمعَ فيه الرَّبُّ صَوْتَ إنْسَانٍ؛ لأَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ عَنْ إسْرَائيلَ.] (يشُوع 10: 13 ـ 14).

في النّهاية؛ تمَّ أسْرُ المُلُوك الهاربين، وقُتلوا بحدِّ السّيف. ثُمَّ واصل يشُوع حملتَهُ، ودمَّر تدميراً كاملاً المُدُنَ الكَنْعَانيَّة في الأجزاء الجنوبيَّة من البلاد، فاتحاً تلك المنطقة لشعب إسرائيل.

العمل الأخير حَدَثَ في الشّمال. قام تحالف لعدَّة مُلُوك كَنْعَانيِّين يرأسهم "يابين" ملك "حَاصُور": [فَخَرَجُوا هُم وكُلُّ جيُوشهمْ مَعَهُمْ، شَعْباً غَفيراً كَالرَّمْل الذي عَلَى شَاطئ الْبَحْر في الْكَثْرَة، بخَيْلٍ وَمَرْكَبَاتٍ كَثيرَةٍ جداً.] (يشُوع 11/ 4)، واشتبكوا مع الإسرائيليِّين في معركة حقل مفتوحة في الجليل، انتهت بالدّمار الكامل للقوَّات الكَنْعَانيَّة. وفُتحَت "حَاصُور"، المدينة الأكثر أهميَّة في كَنْعَان، بل [كَانَتْ قَبْلاً رَأْسَ جَميع تلْكَ الْمَمَالك] (يشُوع 11/ 10)، وأشعلت فيها النّيران، فأُحْرقت. وهكذا؛ بهذا النّصر، وَقَعَتْ كُلُّ الأرض الموعودة بكاملها، من الصّحراء الجنوبيَّة إلى القمَّة المُثلَّجة لجبل حرمون في الشّمال، في قبضة الإسرائيليِّين. وتحقَّق ـ فعلاً ـ الوعد الإلهي. وأُبيدت القُوَّات الكَنْعَانيَّة، واستعدَّ بنو إسرائيل لتقسيم الأرض بَيْن القبائل، باعتبارها ميراثهم الذي وَهَبَهُم اللهُ إيَّاه.

كَنْعَان من نمط مُختلف:

كما هُو الحال في قصَّة الخُرُوج الجماعي، كَشَفَ علْم الآثار عن تناقض مُثير بَيْن المعلومات التي يُقدِّمها الكتاب المُقدَّس العبْريّ وبَيْن الحالة الحقيقيَّة لكَنْعَان، في زمن الغزو

(الإسرائيلي) المُقترَح ؛ أيْ بَيْن عامَيْ 1230 و1220 ق . م . . [1] فبالرّغم من أنَّنا نعرف بأنَّه كان هُناك جماعة تُسمَّى إسرائيل في مكان ما في كَنْعَان في سنة 1207 ق . م ، إلاَّ أنَّ الأدلَّة الدّليل الموجودة المنظر السّياسي والعسكري لكَنْعَان يُفيد بأنَّ قيام تلك المجموعة بمثل ذلك الاحتلال الخاطف لم يكن من المُمكن عمليّاً ، واحتمال حُدُوثه بعيد كُلَّ البُعْد .

هُناك عدد وافر من الأدلَّة في النُّصُوص المصريَّة التي تعود للعصر البرُونزي المُتأخِّر (550 ـ 1150ق . م) حول الشُّؤُون في كَنْعَان ، وذلك على شَكْل رسائل دبلُوماسيَّة ، وقوائم للمُدُن المفتوحة ، ومشاهد الحصَارات ، نجدها منقوشة على حيطان المعابد في سجلاَّت المُلُوك المصريِّيْن ، والأعمال الأدبيَّة ، والتّراتيل . وكانت رسائل تلّ العمارنة أكثر مصادر مثل تلك المعلومات تفصيلاً حول كَنْعَان في تلك الفترة . تُمثِّل هذه النُّصُوص جُزءاً من المُراسلات الدبلُوماسيَّة والعسكريَّة لاثنَيْن من فراعنة مصر الأقوياء : "أمنحتب الثّالث" ، وابنه "أخناتون" ، اللّذَيْن حكَمَا مصر في القرن الرّابع عشر ق . م . .

تتضمَّن حوالي أربعمئة من ألواح تلِّ العمارنة ، المُتفرِّقة ـ الآن ـ في عديد من المتاحف حول العالم ، رسائل أُرْسلَت إلى مصر منْ قبَل حكَّام الدُّول القويَّة ، مثل الحثِّيِّيْن في الأناضول وحُكَّام بلاد بابل ، لكنَّ أكثر تلك الرّسائل كانت تلك التي أُرْسلَت منْ قبَل حكَّام دُول المُدُن في كَنْعَان ، الذين كانوا توابع لمصر أثناء تلك الفترة . اشتمل المُرْسلُون على حكَّام المُدُن الكَنْعَانيَّة الذين اشتهروا لاحقاً في التّوراة ، مثل مُلُوك : أُورشليم (القُدْس) ، "شكيم" (نابلس) ، "مَجدُّو" ، "حَاصُور" ، و"لَخيش" . وأهمُّ ما في الأمر أنَّ رسائل تلِّ العمارنة كَشَفَتْ أنَّ كَنْعَان كانت مُقاطعة مصريَّة ، واقعة مُباشرة تحت سيطرة الإدارة المصريَّة . وكانت العاصمة الإقليميَّة تقع في غزَّة ، لكنَّ الحاميات المصريَّة تركَّزت في المواقع الرّئيسيَّة في كافَّة أنحاء البلاد ، مثل "بيت شان" جنوب بحر الجليل ، وفي ميناء يافا (التي أصبحت ـ اليوم ـ جُزءاً من مدينة تلِّ أبيب) .

---

(1) هذا التّاريخ ، كما رأينا في الفصل الأخير ، اقتُرح بناءً على الإشارات المُفترَضَة إلى الفراعنة الرّعمسيسيِّيْن في قَصَص الخُرُوج الجماعي ، وبناءً على التّاريخ المذكور في مسَلَّة "منفتاح" ؛ أيْ عام 1207 ق . م . ، والذي أشار إلى وُجُود "شعب إسرائيل" في كنعان في ذلك الوقت . (المُؤلِّف) .

لا يُوجد في التّوراة أيُّ خبر عن مصريِّين خارج حُدُود مصر، ولا شيء فيها مذكور عن المصريِّين في أيٍّ من المعارك التي كانت تقع داخل كَنْعَان. هذا؛ في حين تُشير النُّصُوص المُعاصرة والاكتشافات الأثريَّة إلى أنَّ المصريِّين كانوا يُديرُون ويحرسون شُؤُون البلاد الكَنْعَانيَّة بعناية. كان أُمراء المُدُن الكَنْعَانيَّة (الذين وُصفوا في كتاب يشُوع كَأعداء أقوياء) - في الواقع - ضعيفين بنَحْو مُثير للشّفقة. أظهرت التّنقيبات بأنَّ مُدُن كَنْعَان في هذه الفترة لم تكن مُدُناً مُنتظَمَة من النّوع الذي نعرفه في التّاريخ التّالي. كانت تلك المُدُن - بشَكْل رئيسي - معاقل إداريَّة خاصَّة بالنُّخبة، لإسكان الملك، وعائلته، وحاشيته الصّغيرة من المُوظَّفين الإداريِّين، مع جماعات من الفلاَّحين يعيشون - بشَكْل مُتناثر - في قُرَى صغيرة في أنحاء الرّيف المُحيط بتلك المعاقل. كانت المدينة المثاليَّة تتضمَّن قَصْراً، ومُجَمَّعَ الهيكل، وبضعة صُرُوح عامَّة أُخرى، هي - في الغالب - مساكن للمُوظَّفين الكبار، وحانات، وبنايات إداريَّة أُخرى، فقط؛ لا غير. فلم يكن هُناك أسوار للمُدُن. ولم تكن المُدُن الكَنْعَانيَّة الرّائعة - التي تصفها قَصَص الغزو الإسرائيلي لكَنْعَان في الكتاب المُقدَّس - محْميَّة - في الواقع - بأيَّة تحصينات دفاعيَّة!

وكان السّبب - على ما يبدو - هُو أنَّه طالما كانت مصر هي التي تأخذ على عاتقها - بشَكْل صارم - مهمَّة الحفاظ على أمن جميع المُقاطعة، لذلك؛ لم تكن هُناك حاجة للأسوار الدّفاعيَّة الهائلة. كان هُناك - أيضاً - سبب اقتصادي آخر لقلَّة التّحصينات في أغلب المُدُن الكَنْعَانيَّة؛ بسبب الضّرائب الباهظة التي كان فرعون يفرض دَفْعَهَا على الأُمراء الكَنْعَانيِّين، لم يكن أُولئك الحُكَّام المحلِّيُّون الضُّعفاء - في الغالب - يملكون الوسائل (أو السُّلْطَة) للقيام بأعمال إنشاء صُرُوح تذكاريَّة عامَّة.

في الحقيقة؛ كانت كَنْعَان، في أواخر العصر البرُونزي، مُجرَّد ظلٍّ لذلك المُجتمع النّاجح المُزدهر الذي كانت عليه قبل عدَّة قُرُون؛ أيْ في العصر البرُونزي المُتوسِّط. كانت العديد من المُدُن قد هُجرت، ومُدُن أُخرى قد انكمش حَجْمُهَا، ولم يكن مجموع عدد السُّكَّان المُستقرِّين في رُبُوعها يتجاوز كثيراً المئة ألف نسمة. أحد البراهين على صغر حجم ذلك المُجتمع هُو ما نجده في أحد رسائل ألواح تلِّ العمارنة، أرسلها ملك أُورشليم (القُدْس) إلى فرعون، يطلب منه أنْ يمدَّه بخمسين رجل "لحماية الأرض". رسالة أُخرى، أرسلها ملك "مَجدُّو"، تُؤكِّد - أيضاً -

صغر حجم القُوَّات في تلك الفترة؛ حيثُ طَلَبَ فيها من فرعون إرسال مئة جُنْدي لحراسة المدينة من هُجُوم مُحتَمَل لجاره العُدواني، ملك "شكيم" (نابلس).

تصف رسائل تلِّ العمارنة الحالة أثناء القرن الرَّابع عشر ق.م، وذلك قبل مئة سنة، أو ما يُقاربها، قبل التّاريخ المُفترض للغزو الإسرائيلي. ليس لدينا مثل مصدر المعلومات المُفصَّل هذا حول الشُّؤُون في كَنْعَان أثناء القرن الثّالث عشر ق.م.. رغم ذلك؛ كان من المُستبعَد أنْ يتباطأ الفرعون رعمسيس الثّاني، الذي حكَمَ مصر أغلب القرن الثّالث عشر، عن إشرافه العسكري على كَنْعَان. لقد كان ملكاً قوياً، بل ربَّما كان أقوى الفراعنة، وكان مُهتماً جداً في الشُّؤُون الخارجيَّة.

تبدو عديد من الإشارات الأُخرى ـ سواء الأدبيَّة أو الأثريَّة ـ مُشيرة إلى أنَّه في القرن الثّالث عشر ق.م، كانت قبضة مصر على كَنْعَان أقوى بكثير من أيِّ وقت مضى. عندما كانت تصل لمصر أخبار القلاقل في كَنْعَان، كان الجيش المصري يعبر صحراء سيناء على طُول ساحل البحر الأبيض المُتوسِّط، ويسير نحو المُدُن المُتمرِّدة، أو النّاس الثّائرين. كما ذكرنا سابقاً، كان الطّريق العسكري في شمال سيناء مَحْميّاً بواسطة سلسلة من الحُصُون المُجهَّزة بمصادر الماء العذب. بعد عُبُوره الصّحراء، كان الجيش المصري قادراً على أنْ يدحر ـ بسُهُولة ـ أيَّ قُوَّات ثائرة، ويفرض إرادته على السُّكَّان المحلِّيِّين.

كَشَفَ علْم الآثار عن أدلَّة مُثيرة تُبيِّن مدى الحُضُور المصري في كَنْعَان نفسها. في العشرينات من القرن الماضي؛ تمَّ اكتشاف مَعْقل مصري أثناء التّنقيب في موقع "بيت شان" إلى جنوب بحر الجليل، احتوت أبنيته المُختلفة وفناءاته على تماثيل وأنصاب كُتب عليها بالهيرُوغليفيَّة، تعود لعهد الفراعنة "سيتي الأوَّل" (1294 - 1279 ق.م)، رعمسيس الثّاني (1279 - 1213 ق.م)، ورعمسيس الثّالث (1184 - 1153 ق.م). بل كَشَفَتْ المدينة الكَنْعَانيَّة القديمة "مَجدُّو" عن دليل على حُضُور مصري القوي حتَّى في فترة مُتأخِّر كأيَّام رعمسيس السّادس، الذي حكَمَ نَحْو نهاية القرن الثّاني عشر ق.م؛ أيْ بعد فترة طويلة من غزو الإسرائيليِّين المُفترَض لكَنْعَان.

من المُستبعَد جداً أنْ تبقى الحاميات المصريَّة في كافَّة أنحاء البـلاد مكتوفة الأيدي، وهـي تُشاهد مجموعة من اللاَّجئين (من مصر) يعيشون خراباً وفساداً في كافَّة أنحـاء مُقاطعـة كَنْعَـان، كما لا يُمكن تصديق أنْ لا يترك دمار العديد من المُدُن التّابعة الموالية، على أيدي غُـزاة مُحتلِّين أيَّ أثر في السِّجلاَّت الشّاملة آنذاك للإمبراطُوريَّة المصريَّة. الذِّكْر المُستقلُّ الوحيد، الـذي نجده في هذه الفترة، لاسم إسرائيل، ـ في مسَلَّة النّصر التي أقامها "منفتاح" ـ يُعلن ـ فقط ـ أنَّ أُولئكَ النّاس ـ الغامضون عادةً، الذين يعيشون في كَنْعَان ـ قد تعرَّضوا لهزيمة ساحقة. هُناك شيء مـن عدم الانسجام والتّناقض، نلحظه ـ بوُضُوح ـ عندما نضع الرّوايـة التّوراتيَّـة، والأدلَّـة الأثريَّـة، والسِّجلاَّت المصريَّة جنباً إلى جنب.

على خُطى يشُوع؟

هُناك، مع ذلك ـ أو علـى الأقلّ، كـان هُنـاك ـ أدلَّـة مُعاكسـة ومُضـادَّة للدّليـل المصـري: أوَّلاً؛ لقد كان من الواضح أنَّ سفر يشُوع لم يكن خُرافة خياليَّة تمامـاً، بـل لقـد عكـس ـ بدقَّـة ـ جَغرافيَّة أرض إسرائيل، كما أنَّ مسيرة حَمْلة يشُـوع اتَّبعـت ترتيباً جَغرافيَّاً منطقيّاً. في بدايـة القرن العشرين؛ اختار عدد من العُلماء بعض المواقع التي يُمكنهم أنْ يثقوا ـ تمامـاً ـ أنَّـها تتطـابق مع مواقع تقدُّم الغزو الإسـرائيلي، وبـدؤوا بـالحفر بحثـاً عـن شـواهد علـى أسـوار سـاقطة، أو روافد خشبيَّة مُحترقة، أو آثار دمارٍ شاملٍ.

الشّـخصيَّة الأبـرز فـي هـذا المسـعى كـان ـ مـرَّة ثانيـة ـ العـالم الأمريكـي "وليـام فُوكسـويل أُولبرايت" **William Foxwell Albright**، من جامعة "جُـون هُوبْكنـز" **Johns Hopkins** فـي بالتيمور **Baltimore**، اللُّغويُّ اللاَّمع، والمُؤرِّخ، والعـالم التّوراتـي، وعـالم الآثـار الميداني، الذي حاول إثبات أنَّ الآباء كانوا شخصيَّات تاريخيَّة أصيلة. لقـد اعتقـد ـ مُرتكـزاً علـى قراءتـه للشّواهد الأثريَّة ـ بأنَّ أعمال يشُوع البُطُوليَّة كانت تاريخيَّة أيضاً. أكثر تنقيبات أُولبرايت شُـهرة تمَّ إنجازها بَيْن عامَيْ 1926 و1932 في تلٍّ يُسَمَّى: "تلّ بيت مرسيم"، يقـع فـي التّـلال التي تقـع جنوب غـرب مدينـة حبرون (الخليـل)، (انظُـرْ الشَّـكْل رَقْـم 9). ربَـطَ أُولـبرايت ذلـك الموقـع ـ استناداً لموقعه الجَغرافي ـ بالمدينة الكَنْعَانيَّة "دبيـر"، التي وَرَدَ ذكْر غزو الإسرائيليّيْن لها في ثلاثة مواضع من "الكتاب المُقدَّس العبْريّ"، مرتَّيْـن فـي سـفْر يشُـوع (10 / 38 ـ 39، 15/ 15 ـ 19)،

ومرَّة في سفْر القُضَاة (1/ 11 ـ 15) . ورغم أنَّ مُطابقة الموقع مع مدينة "دَبير" قـد تعـرَّض للنَّقْـد العلمي والتّشكيك بصحَّته ، إلاَّ أنَّ هذا لم يُغيِّر من حقيقة أنَّ الاكتشافات الأثريَّة فـي "تـلّ بيت مرسيم" بقيت ذات أهمِّيَّة مركزيَّة بالنّسبة للبحث التّاريخي .

كَشَفَتْ التّنقيبات هُناك عن بلدة صغيرة ، وسيِّئة نسبيًّا ، وغير مُحاطة بأسوار ، تمَّ تدميرهـا بنار كارثيَّة هائلة مُفاجئة في حوالي نهاية العهد البرُونزي المُتأخِّر ، وطبقاً لرأي "أُولبرايت" ، فـي حوالي سنة 1230 ق . م . . على رماد هذه المدينـة المُحترقـة ، حَصَـلَ أُولـبرايت علـى مـا اعتقـده دليلاً على وُصُول مُستوطنين جُدُد : الفخَّاريَّات الخشـنة مُتبعـثرة ، تُشـابه تلـك التي عرفـها في المواقع الأُخرى في المُرتفعات ، والتي ميَّزها بحَدْسه على أنَّها إسرائيليَّة . بدا هذا الدّليـل بُرهاناً على تاريخيَّة قَصَـص الكتـاب المُقـدَّس : مدينـة كَنْعَانيَّـة (ذُكـرت فـي الكتـاب المُقدَّس) أحرقـها الإسرائيليُّون ، ثُمَّ ورثوها ، واستقرُّوا على خرابها .

في الواقع ؛ بدا أنَّه تمَّ إعادة تقديم نتائج "أُولبرايت" في كُلّ مكان . فقد كَشَفَتْ التّنقيبات فـي التَّلّ القديم للقرية العَرَبيَّة بيتَيْن Beitin ، التي تمَّ مُطابقتها على المدينة التّوراتيَّة "بيـت إيـل" ، والتـي تقع حوالي تسعة أميال شمال أُورشليم (القُدْس) ، كَشَفَتْ عن مدينة كَنْعَانيَّـة سُكنَتْ فـي العصـر البرُونزي المُتأخِّر ، وقد تمَّ تدميرها بالنّار في أواخر القرن الثّالث عشر ق . م ، ثُمَّ سكنتها من جديـد ـ على ما يبدو ـ مجموعةٌ مُختلفةٌ ، في العصر الحديدي الأوَّل . لقد تطـابقت مـع القصَّـة التّوراتيَّـة التي تتحدَّث عن مدينة "لوز" الكَنْعَانيَّة ، التي استولى أفـراد مـن بيـت يُوسُـف عليـها ، فسكنوها ، وغيَّروا اسمها إلى "بيت إيل" (القُضَاة 1/ 22 ـ 26) . أكثر جنوباً ، وجد في التَّلّ البارز المُسـمَّى بتـلّ الدُّوير Tell ed Duweir في منطقة شـفيلة Shephelah موقـع تمَّـت مُطابقته مـع المدينـة التّوراتيَّـة المشهورة "لَخيـش" (يشُوع 10 / 31 ـ 32) ، كَشَفَتْ بعثة بريطانيَّة في الثّلاثينات مـن القـرن المُنصرم عن بقايا مدينة كبيرة أُخرى تعود للعصر البرُونزي المُتأخِّر ، الأُخرى تمَّ تدميرها بحريق كبير .

استمرَّت الاكتشافات في الخمسينات ، بعد قيام دولة إسرائيل [يقصـد الكيـان الصّـهيوني الغاصب (المُترجم)] ؛ حيثُ ركَّز عُلماء الآثار الإسرائيليُّون على قضيَّة غزو وفتْح الأرض الموعودة .

فـي عـام 1956 ؛ بـدأ عـالم الآثـار الإسـرائيلي البـارز "يغـائيل يـادين" Yigael Yadin ، التّنقيب في المدينة القديمة "حَاصُور" ، التي وَصَفَهَا سفْر يشُوع بأنَّـها كـانت : [رَأْسَ جَميـع تلْـكَ

المَمَالك] (يشُوع 11 / 10). لقد كانت أرض اختبار مثاليَّة للبحث الآثاري المُتعلِّق بالغزو الإسرائيلي. لقد ثبت آثاريّاً أنَّ مدينة "حَاصُور"، التي تمَّت مُطابقته على التَّلِّ الضّخم المعروف باسم "تلّ الوقّاص" في الجليل الأعلى، استناداً لموقعه وأهمِّيّته، كانت ـ فعلاً ـ أكبر المُدُن الكَنْعَانيَّة في العصر البرُونزي المُتأخِّر. كانت تمتدُّ على مساحة ثمانين هكتاراً؛ أيْ أكبر بثماني مرَّات من نُظرائها من المواقع البارزة الأُخرى؛ مثل "مَجدُّو" و"لَخيش".

اكتشف "يادين" Yadin بأنَّه على الرّغم من أنَّ "حَاصُور" بَلَغَت ذروة ازدهارها في العصر البرُونزي المُتوسِّط (2000 ـ 1550 ق. م)، إلاَّ أنَّها استمرَّت في ازدهارها حتَّى العصر البرُونزي المُتأخِّر. كانت مدينة رائعة، ذات معابد وقَصْر ضخم. مُنْذُ التّسعينات في القرن الماضي؛ تواصلت الاكتشافات بفَضْل أعمال التّنقيب المُجدَّدة في "حَاصُور" تحت قيادة "عمُون بنطور" Amnon Bentor من الجامعة العبْريَّة، دالَّةً على ثراء ذلك القَصْر في نمط فنِّه المعماري، وفنِّ النّحت، مع اكتشافات صغيرة أُخرى ـ سبق أنْ لَمحت إليها نتائج تنقيبات "يادين" Yadin ـ. يُشير وُجُود عدد من الألواح المسماريَّة إلى وُجُود أرشيف مَلَكي. يحمل أحد الألواح ـ الذي أُعيد تأهليه ـ اسماً مَلَكيّاً هُو "ابني"، كما أنَّ مَلَكاً لـ "حَاصُور" اسمه "ابن أدُّو" ذُكر في أرشيف الرّجل. رغم أنَّ كلا الاسمَيْن يعود تاريخه إلى أزمنة سابقة بكثيرٍ (العصر البرُونزي المُتوسِّط)، إلاَّ أنَّهما قد يكونان مُرتبطَيْن بنَحْو إيتيمُولُوجي (اشتقاقي ـ لُغوي) باسم ملك "حَاصُور": "يابين"، المذكور في الكتاب المُقدَّس العبْريّ. التّكرار الإيحائي لهذا الاسم قد يُشير إلى أنَّه كان يُمثِّل اسم سُلالة مَلَكيَّة على صلة استمرَّت عدَّة قُرُون بمدينة "حَاصُور"، فبقي النّاس يذكرونه حتَّى بعد فترة طويلة من تدمير المدينة.

أظهرت أعمال التّنقيب في "حَاصُور" انتهاء عَظَمَة تلك المدينة الكَنْعَانيَّة، بنَحْو فُجائي وقاسٍ في القرن الثّالث عشر ق. م، مثلها مثل العديد من المُدُن الأُخرى في أجزاء مُختلفة من بلاد كَنْعَان. فجأةً؛ وعلى الظّاهر، بدُون سابق إنذار، أو أيّ إشارة صغيرة لسيرٍ نحو الانحطاط، هُوجمت "حَاصُور"، ودُمِّرَت، وأُحْرِقَت بالنّار. ماتزال جُدران القَصْر ـ المصنوعة من الطّابوق المطبوخ من الطّين، والتي طُبخَتْ بحرارة حريق مهيب، حتَّى أصبحت حمراء ـ ماتزال باقية إلى اليوم بارتفاع ستَّة أقدام. بعد فترة من تَرْك المدينة؛ تمَّ تأسيس مُستوطنة فقيرة

في أحد أجزاء خراباتها الواسعة . وقد شابهت فخّاريّاتُهَا الفخّاريّات التي اكتُشفت في المُستوطنات الإسرائيليَّة المُبكِّرة في بلاد التَّلّ المركزيَّة نحو الجنوب .

هكذا ؛ في مُعظم القرن العشرين ، بدا علْم الآثار مُؤكِّداً لرواية الكتاب المُقدَّس العبْريّ ، لكنْ ؛ لسُوء الحظّ ، سُرعان ما انفرط - في النّهاية - ذلك الإجماع العلْمي .

هل أذَّنت الأبواق حقّاً ؟

في وسط الفرح العارم - تقريباً في اللّحظة ذاتها التي بدا فيها أنَّ معركة الغزو مالت لصالح يشُوع - ظهرت بعض التّناقضات المُزعجة . حتّى لو أكّدت كُلُّ الصّحافة العالميّة خَبَرَ انتصار يشُوع ، بقيت العديد من قطع لُعبة ألغاز البزل Puzzle الآثاريَّة ، الأكثر أهمّيّة ، دُون أنْ تجد - ببساطة - مكانها المُلائم في الصُّورة .

كانت أريحا من بَيْن الأجزاء الأكثر أهمّيّة في الصُّورة .

كما لاحظنا ؛ كانت مُدُن كَنْعَان غير مُحصَّنة ، ولم يكن لها أسوار يُمكنها أنْ تسقط . في حالة أريحا ، ما كان هُناك أيُّ أثر لأيِّ مُستوطنة من أيِّ نوع في القرن الثّالث عشر ق . م ، وكانت المُستوطنة الأقدم - والتي تعود للعصر البرُونزيّ المُتأخِّر ؛ أيْ القرن الرّابع عشر ق . م - مُستوطنة صغيرة وفقيرة ، وتافهة تقريباً ، وغير مُحصَّنة . لم يكن هُناك - أيضاً - أيُّ علامة تدلُّ على حُدُوث عَمَليَّة تدمير . لذا ؛ فإنَّ المشهد المشهور للقُوّات الإسرائيليَّة التي زَحَفَتْ حول البلدة ، وأحاطت بها ، يتقدَّمها تابوت العهد ، ثُمَّ إحداث انهيار لأسوار أريحا الهائلة بواسطة نفخ أبواق حرب الإسرائيليّين ، لم يكن - ببساطة - سوى سراب رُومانسي .

وُجدَ تناقض مُماثل آخر ، بَيْن علْم الآثار والكتاب المُقدَّس العبْريّ ، في موقع "عاي" القديمة ، حيثُ نفَّذ يشُوع كَمينَهُ الذّكي ، طبقاً لرواية الكتاب المُقدَّس . لقد طابق العُلماء هضبة "خربة التّلّ" الكبيرة الحاليَّة ، التي تقع في الحافّة الشّرقيَّة للمنطقة الشّماليَّة الشّرقيَّة لهضبة أورشليم (القُدْس) ، على الموقع القديم لمدينة "عاي" ، وذلك لكون الموقع الجغرافي لذلك التَّلّ ، إلى الشّرق مُباشرة من مدينة "بيت إيل" ، يتطابق - بشَكْل كبير - مع وَصْف الكتاب المُقدَّس لمدينة "عاي" . الاسم العَرَبي المُعاصر لهذا الموقع هُو "التّلّ" والذي يعني "البقايا" ، أو "الخرائب" ،

وهُو معنى يتَّفق ـ بنَحْو ما ـ مع الاسم العبْري "عاي" المذكور في الكتاب المُقدَّس، خاصَّة أنَّه لا يُوجد أيُّ موقع بديل يعود للعصر البرُونزي المُتأخِّر، على أيِّ موقع قريب من تلك المنطقة. بَيْن عامَيْ 1933 و1935، قام عالم الآثار الفلسطينيّ اليهُودي الذي تدرَّب في فرنسا: "جُوديث ماركت كرُوز" Judith Marquet Krause، بتنفيذ أعمال تنقيب واسعة النّطاق "التّل"، وَوَجَدَ بقايا كثيرة جداً لمدينة قديمة وضخمة من العصر البرُونزي المُبكِّر، أرَّخ تاريخها بنَحْو ألف سنة قبل انهيار كَنْعان في العصر البرُونزي المُتأخِّر.

لم يتمَّ اكتشاف حتَّى شقفة فخَّاريَّة واحدة، أو أيّ إشارة أُخرى تدلُّ على وُجُود استيطان هُناك في العصر البرُونزي المُتأخِّر. وأنتجت التّنقيبات المُجدَّدة، التي أُعيد إجراؤها جرت في الموقع في السِّتِّينات، الصُّورة نفسها. مثل أريحا، لم يكن هُناك استيطان في "عاي"، وقت غزوها المُفترَض منْ قبَل بني إسرائيل.

وماذا عن قصَّة الجبعونيِّين والتماسهم الحماية؟ لقد كَشَفَتْ التّنقيبات في التَّلِّ الواقع في قرية "الجب" شمال أُورشليم (القُدْس) والذي أجمع العُلماء على أنَّه هُو موقع "جبْعُون" التّوراتي، عن بقايا من العصر البرُونزي المُتوسِّط ومن العصر الحديدي، لكنْ؛ لا شيء يرجع للعصر البرُونزي المُتأخِّر. وقد أنتجت التّحقيقات الآثاريَّة في مواقع لثلاثة قُرَى جبعونيَّة أُخرى، هي: "شفيرة" و"بيروث" و"كريّات جياريم" الصُّورة نفسها؛ فلم يُوجد في أيٍّ من تلك المواقع أيُّ آثار أو بقايا تعود للعصر البرُونزي المُتأخِّر. والأمر نفسه يصدق على القُرَى أو البلدات الأُخرى المذكورة في قصَّة الغزو، وفي القائمة المُختصرة لمُلُوك كَنْعان (يشُوع 12)، ومن بَيْنهم "عرَاد" (في النَّقَب) و"حَشْبُون" (في الضفّة الغربيَّة)، اللَّذَيْن ذكرناهما في الفَصْل الأخير.

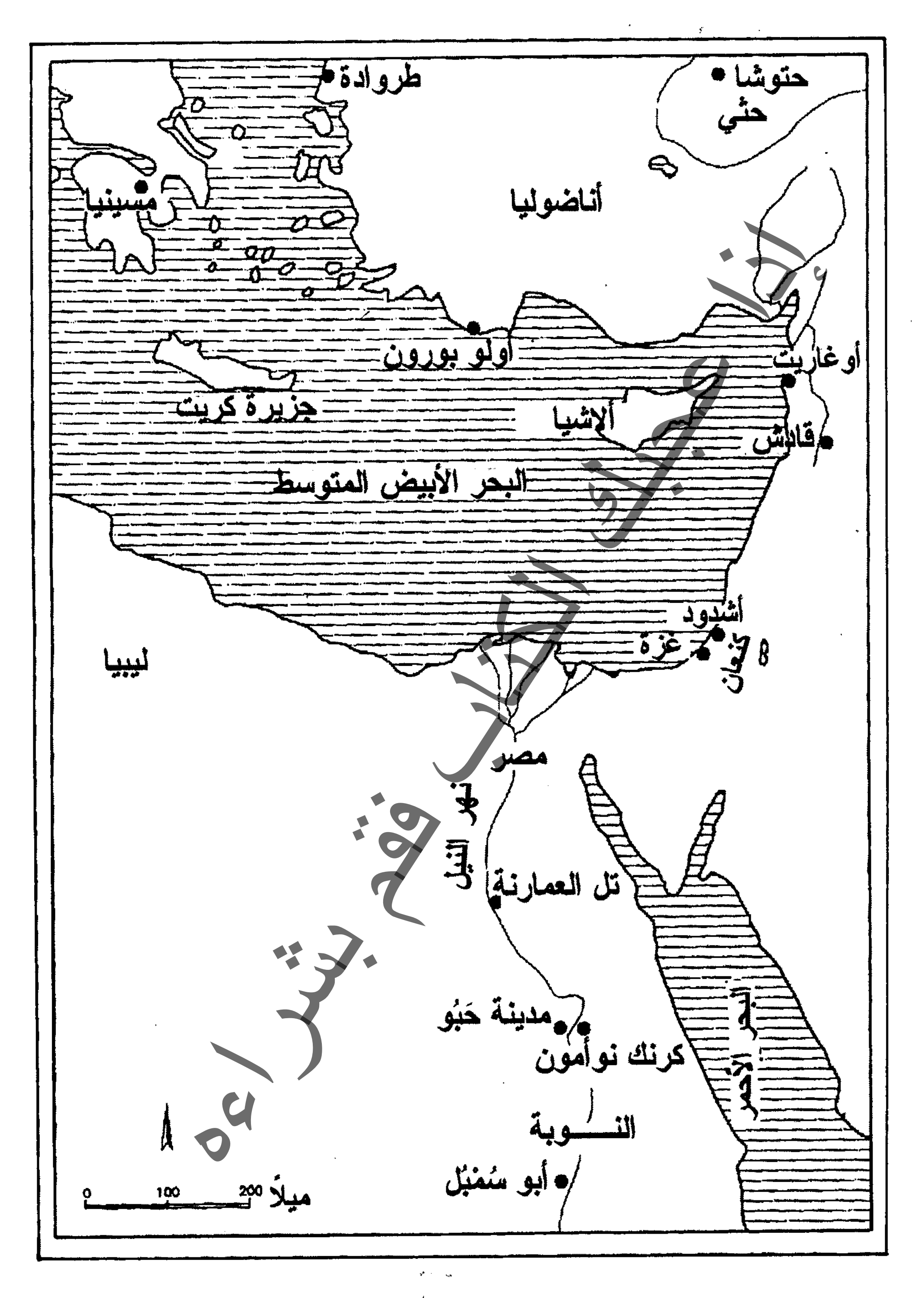
لم تتأخَّر التّفسيرات العاطفيَّة والعَقْلانيَّة المُعقَّدة كثيراً في المجيء؛ لأنَّ هُناك الكثير الذي أصبح في خطر الضّياع. بالنّسبة لـ"عاي"، اقترح أُولبرايت أنْ تكون قصَّة فتحها إنَّما قصد بها في الأصل فتح بيت إيل المُجاورة؛ حيثُ إنَّه لما كانت بيت إيل وعاي قريبتان جداً من بعضهما، تمَّ الجَمْع والمُشاركة بَيْنهما جَغرافياً وتقليدياً. أمَّا بالنّسبة لأريحا؛ فقد بحث بعض العُلماء عن تفسيرات بيئيَّة. لقد اقترحوا أنْ تكون كامل الطّبقة التي تُمثِّل أريحا في وقت الغزو ـ بما في ذلك التّحصينات ـ قد تمَّ إزالتها بفعل عومل الحَتِّ الطّبيعيَّة.

لم ينفرط الإجماع بشأن قصَّة الغزو، ولم يُترَك إلاَّ مُؤخَّراً. أمَّا بالنِّسبة إلى دمار "بيت إيل"، "لَخيش"، "حَاصُور"، ومُدُن كَنْعَانيَّة أُخرى؛ فإنَّ الشّواهد التي تمَّ الحُصُول عليها من مناطق أُخرى من الشّرق الأوسط وشرقي البحر الأبيض المُتوسِّط تُفيد بأنَّ الذين قاموا بعمليّات التّدمير ليسوا - بالضّرورة - إسرائيليِّين.

عالم البحر الأبيض المُتوسِّط في القرن الثّالث عشر ق.م:

إنَّ البُؤرة الجَغرافيَّة لقَصَص الكتاب المُقدَّس العبْريّ تتركَّز كُلّيّاً - تقريباً - في أرض إسرائيل [بل، فلسطين المُحتلَّة (المُترجم)]، ولكنْ؛ لكي نفهم الحجم الحقيقي للأحداث التي حَدَثَتْ في نهاية العصر البرُونزي المُتأخِّر، علينا أنْ ننظر إلى ما هُو أبعد من حُدُود كَنْعَان؛ أيْ إلى كامل منطقة شرقي البحر الأبيض المُتوسِّط (انظُرْ الشَّكْل رَقْم 10). كَشَفَتْ الحفريَّات في اليُونان، وتُركيا، وسُوريا، ومصر، قصَّة مُذهلة لثورة، وحرب، وتوقُّف اجتماعي واسع الانتشار. في السّنوات الأخيرة من القرن الثّالث عشر ق.م، وبداية القرن الثّاني عشر، مرَّ كامل العالم القديم بتحوُّلات قويَّة مُثيرة؛ حيثُ عصفت أزمة مُدمِّرة بممالك العصر البرُونزي، وبدأ عالم جديد بالظُّهُور. كانت هذه الفترة إحدى أكثر فترات التّاريخ إثارة وفوضويَّة، سقطت خلالها إمبراطُوريَّات قديمة؛ لتحلَّ محلَّها قوى جديدة صاعدة.

سابقاً - في مُنتصف القرن الثّالث عشر ق.م - كانت هُناك إمبراطُوريَّتان تحكمان المنطقة. في الجنوب؛ كانت مصر في ذروة عظمتها، يحكمها رمسيس الثّاني، وتُسيطر على كَنْعَان بما في ذلك أراضي لُبْنَان الحديث وجنوب غرب سُوريا. كما كانت تُسيطر في الجنوب على النّوبة، وفي الغرب؛ كانت تحكم ليبيا. كانت الإمبراطُوريَّة المصريَّة مشغولة ببناء الأبنية التّذكاريَّة الضّخمة، وكانت تُشارك في التّجارة المُربحة في شرقي البحر الأبيض المُتوسِّط. كانت هُناك بعثات وتُجَّار يتردَّدُون على مصر، قادمين من جزيرة كريت، وقُبرُص، وكَنْعَان، وبلاد الحِثِّيِّين، جالبين معهم هدايا لفرعون. وكانت هُناك بعثات مصريَّة تقوم باستغلال مناجم للنُّحاس والفيروز في سيناء والنَّقَب. لم يسبق أنْ وُجدت في مصر - أبداً - إمبراطُوريَّة بمثل تلك القُوَّة والاتِّساع. ليس على أحدنا إلاَّ أنْ يقف اليوم أمام معبد أبو سُنبل في النّوبة أو المعابد المشهورة في الكَرْنَك والأقصر؛ ليشعر بالعَظَمَة التي كانت عليها مصر في القرن الثّالث عشر ق.م.



الشَّكْل 10: الشّرق الأدنى القديم: مواقع آثاريَّة مُنتخَبَة من القرن الثّالث عشر ق.م

أمَّا الإمبراطُوريَّة الكبيرة الأُخرى في المنطقة؛ فقد تركَّزت في الأناضول؛ إنَّها كانت الدّولة الحثِّيَّة، التي كانت تحكم انطلاقاً من عاصمتها "حتّوشا" التي تقع شرق أنقرة، عاصمة تُركيا الحديثة. كان الحثِّيُّون يُسيطرون على آسيا الصُّغْرَى وشمال سُوريا، وكانوا قد بلغوا شأواً رفيعاً في العمارة، والأدب، وفنِّ الحرب. تُعطي مدينة "حتّوشا" الواسعة - بتحصيناتها الهائلة ومعبدها المحفور في الصّخر - الزُّوَّار المُعاصرين إحساساً بعَظَمَة الحثِّيِّين.

كانت الحُدُود بَيْن الإمبراطوريَّتَيْن - المصريَّة والحثِّيَّة - تقع في سُوريا. وقد وقعت بَيْنهما الحرب التي كان لابُدَّ منها في بداية القرن الثّالث عشر ق. م؛ حيثُ التقى الجيشان العظيمان في قادش على نهر العاصي غربيّ سُوريا. كان في أحد الطَّرَفَيْن "مواطاليس" Muatallis ملك الحثِّيِّين، وفي الطَّرَف الآخر، وَقَفَ رمسيس الثّاني، الملك المصري الشَّابُّ، وضعيف الخبرة في الحرب. لدينا سجلاَّت عن الحرب تعود لكلا الطَّرَفَيْن، وكُلٌّ منهما يدَّعي فيها النّصر. الحقيقة كانت في مكان ما وسط بَيْن الادِّعاءيْن. فالظّاهر أنَّ الحرب انتهت، دُون حُصُول أيٍّ من الطَّرَفَيْن على نصر حاسم، لذا؛ كان على القُوَّتَيْن العُظْمَيَيْن أنْ يتوصَّلا إلى تسوية. سُرعان ما وقَّع الملك الحثِّيُّ الجديد، "حاتُّوسيليس الثّالث" Hattusilis III، ورمسيس الثّاني، الذي أصبح - الآن - أكثر تمرُّساً في الحرب، مُعاهدة سلام، أعلنت صداقة بَيْن الدّولتَيْن، وتَرْك العداوات بَيْنهما "إلى الأبد"، وخُتِمَت الاتِّفاقيَّة بعملٍ رمزيٍّ، كان زواج رمسيس من أميرة حثِّيَّة.

أعطى العالم الذي أوجده هذا الموقف "المصري - الحثِّي" فُرصاً مُتزايدة لقُوَّة عُظْمَى ثالثة أُخرى في الغرب، لم تكن قُوَّتها ناتجة عن القُوَّة العسكريَّة، بل كانت تتجلَّى بالمهارات البحريَّة؛ إنَّها العالم المسيني (نسبةً لمدينة مسينى القديمة فى جنوب اليُونان)، الذي أنْتَجَ الحُصُون والقلاع الشّهيرة لمدينة مسيني Mycenae، وتيرينس Tiryns، والقُصُور الغنيَّة لبيلوس Pylos، وطيبس Thebes. إنَّه كان الذي أعطى - على ما يبدو - الخلفيَّة الرُّومانسيَّة لإلياذة هُوميرُوس والأسفار الطّويلة لأُوديسي؛ كما كان العالم الذي أنْتَجَ الشّخصيَّات المشهورة لـ "أغاميمنُون" Agamemnon، و"هيلين" Helen، و"بريام" Priam، و"أُوديسوس" Odysseus.

لا نعرف اليوم - على وجه التّأكيد - فيما إذا كان "العالم المسيني" يُدَار ويُحكَم من مركز واحد، مثل مدينة مسيني Mycenae. من المُحتمل أكثر؛ أنَّ ذلك العالم كان نظاماً من عدَّة

مراكز، كُلٌّ واحد منها يحكم أراضٍ كثيرة، شيءٌ يُشبه دُول المُدُن في كَنْعَان، أو نظام "بُوليس" في اليُونان التّقليدي، ولكنْ؛ على نطاق، أو مقياس أوسع بكثير.

بدأ العالم المسيني، ـ الذي تمَّ اكتشافه لأوَّل مرَّة بفضل التّنقيبات الأثريَّة المُثيرة التي قام بها "هنريخ شلايمان" Heinrich Schliemann في مدينتَيْ مسيني Mycenae، وتيرينس Tiryns، في أواخر القرن التّاسع عشر ـ بدأ يكشف لنا أسراره بعد سنوات، عندما تمَّ فكُّ شفرة المخطوطة "ب" الخطِّيَّة. أثبتت الألواح التي وُجدت في القُصُور المسَينيَّة أنَّ المسينيِّين كانوا يتكلَّمون اللُّغة اليُونانيَّة. جاءت قُوَّتهم وثروتهم ـ على ما يبدو ـ من التّجارة في شرقي البحر الأبيض المُتوسِّط.

لعبت جزيرة قُبْرُص ـ التي كانت تُعرَف في ذلك الحين باسم "آلاشيا" Alashiya ـ دوراً مُهمّاً ـ أيضاً ـ في عالم القرن الثّالث عشر ق. م، هذا؛ حيثُ كانت المُنتج الرّئيسي للنُّحاس في شرقي البحر الأبيض المُتوسِّط، وكانت بوَّابة للتّجارة في المشرق. تُبيِّن الأبنية الرّائعة التي بُنيَت بكُتَل الحجر المأخوذة من "آلاشيا" مدى الازدهار الذي وَصَلَتْ إليه الجزيرة في ذلك الوقت.

تميَّز عالم العصر البرُونزي المُتأخِّر بالقُوَّة العُظْمَى، والثّروة، والتّجارة النّشطة. يُبيِّن حطام السّفينة المشهورة: "أُولُو بُورُون" Ulu Burun، التي وُجدت في أيَّامنا خارج ساحل جنوب تُركيا، لمحة إلى أيَّام الازدهار تلك. كانتْ سفينةً مُحمَّلة بشحنة تجاريَّة من عدَّة بضائع مثل: قوالب النّحاس والقصدير، قطَع أشجار الأبنوس، الرّاتنج الحادّ، عاج الفيل، وفَرَس النّهر، قُشُور بيض النّعامة، التّوابل، وبضائع أُخرى، وكانت تُبحر على طُول ساحل آسيا الصُّغْرَى، في وقت ما حوالي 1300 ق. م، عندما غرقت ـ على ما يبدو ـ بسبب عاصفة هوجاء.

أظهرت التّنقيبات التي أُجريت تحت الماء على حُطام السّفينة، واستعادة شحنتها التّجاريَّة الغنيَّة، بأنَّ هذه السّفينة الصّغيرة ـ والتي لم تكن بالتّأكيد استثنائيَّة في ذلك الزّمن ـ كانت تجوب جميع الطُّرُق المُربحة للتّجارة في كامل شرقي البحر الأبيض المُتوسِّط، حاملة المصنوعات اليدويَّة الفاخرة، والسِّلَع الاستهلاكيَّة المُلتَقَطة من كُلِّ مرفأ تتوقَّف فيه.

من المُهمِّ التّذكير بأنَّ ذلك العالم لم يكن مُجرَّد نُسخة قديمة لسُوق مُشتركة حديثة فحسب، تقوم فيه كُلُّ أُمَّة بالتّجارة الحُرَّة مع سائر الأُمم. بل كان ـ أيضاً ـ عالماً تُديره، وتُسيطر عليه ـ بكُلِّ إحكام ـ مجموعة من المُلُوك والأُمراء، كُلٌّ في منطقته السّياسيَّة الخاصَّة به، وكان

محروساً ـ بعناية ـ منْ قبَل مصر وسائر القوى العُظْمَى الأُخرى في ذلك الزّمن . في مثل ذلك العالم المُنظّم والمُزدهر لنُخب العصر البرُونزي ، كان السُّقُوط السّريع والمُفاجئ والعنيف سيترك ـ بالتّأكيد ـ أثره الدّائم في الذّاكرة ، والأساطير ، والشّعر .

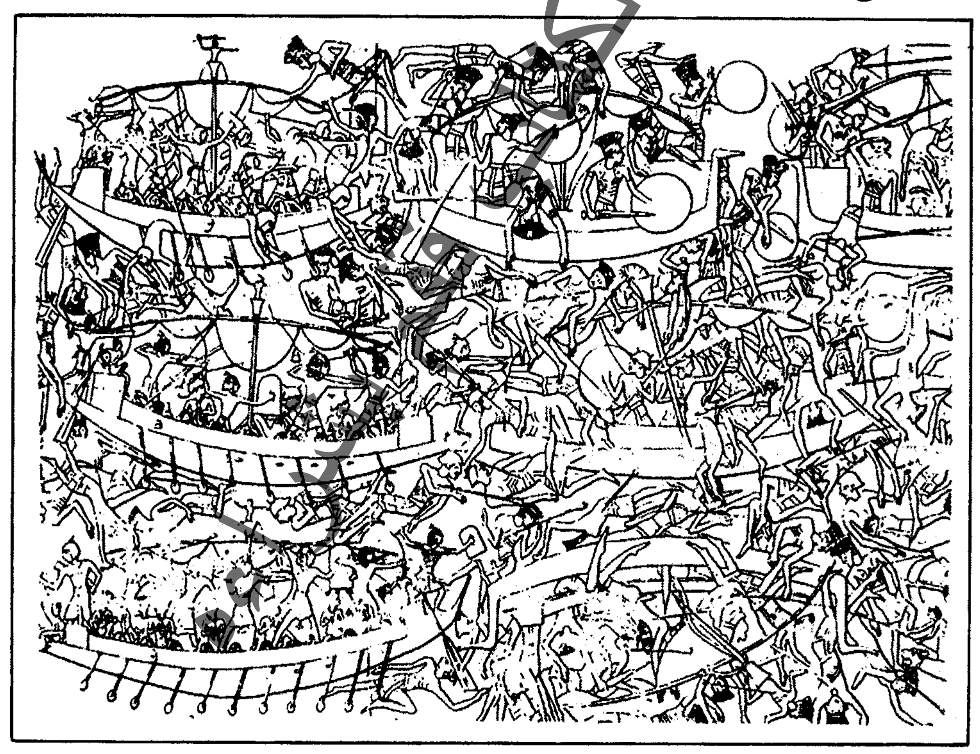
الثّورة العظيمة:

ربُّما بدا المنظّر من قُصُور دُول مُدُن كَنْعَان منظراً سلْمياً ، ولكنْ ؛ كانت هُناك مشاكل جمَّة في الأُفُق ، مشاكل ستُسبِّب انهياراً كاملاً لكُلّ الاقتصاد والبنية الاجتماعيَّة للعصر البرُونزي المُتأخِّر . مع حُلُول سنة 1130 ق . م ، نرى عالماً مُختلفاً تماماً ، مُختلفاً إلى درجة أنَّ أيّاً من سُكَّان مسينة Mycenae ، أو "نُو آمُون" No Amon (عاصمة مصر آنذاك ، وهي مدينة الأُقصُر اليوم) ، أو "حتُّوشا" Hattusha (عاصمة الحثّيّين) ، قبل مئة سنة ؛ أيْ في العام 1230 ق . م ، لن يستطيعوا التّعرُّف عليه . لم تكن مصر ـ حينذاك ـ سوى ظلّ باهت لماضيها المجيد ، كانت قد فَقَدَتْ أغلب أراضيها الأجنبيَّة . مَمْلَكَة الحثّيّين انقرضت من الوُجُود ، وكانت عاصمتها "حتُّوشا" أنقاضاً خاوية على عُرُوشها . لم يكن العالم المسيني سوى ذكرى خابية ، مراكزه الواسعة مُدمَّرة . كانت قُبرُص قد تحوَّلت ؛ وتوقَّفت فيها تجارة النُّحاس والسِّلَع الأُخرى . كانت العديد من الموانئ الكَنْعَانيَّة الكبيرة على طُول السّاحل الشّرقي للبحر الأبيض المُتوسِّط ، بما في ذلك الميناء التّجاري البحري العظيم "أُوغاريت" في الشّمال ، مُحترقة كُلّيّاً . كما كانت عديد من المُدُن الدّاخليَّة الرّائعة ، مثل "مجدُّو" و"حاصُور" أكواماً من الخرابات المهجورة .

ما الذي حَدَثَ؟ لماذا اختفى العالم القديم ؟ لقد اقتنع العُلماء الذين عملوا على حلّ هذه المُشكلة أنَّ السّبب الرّئيسي لها كان الغزوات التي شنَّتْهَا مجموعات غامضة وعنيفة سُمِّيت بـ "شُعُوب البحر" ، كانوا مُهاجرين قدموا من الغرب ، من البرّ والبحر ، وقاموا بتدمير كُلّ شيء وَقَفَ في طريقهم . جاء ذكْر أُولئكَ اللُّصُوص في سجلاَّت أُوغاريتيَّة ومصريَّة تعود لأوائل القرن الثّاني عشر ق . م . . يُزوِّدنا نصٌّ وُجدَ في خرابات ميناء أُوغاريت بشهادة مُثيرة عن الوضع حوالي سنة 1185 ق . م . . كان ذلك النَّصُّ رسالة أرسلها : أمُورابي "Ammurapi ، آخر مُلُوك أُوغاريت ، إلى ملك آلاشيا (قُبرُص) ، يصف ـ بشَكْل مسعور ـ كيف "وَصَلَتْ مراكب العدوّ ، وأشعل العدوُّ النّارَ في المُدُن ، ودمَّر ، وعاث فساداً . كانت قُوّاتي في بلاد الحثّيّين ، ومراكبي في ليسيا Lycia ، والبلاد تُركَت لأدواتها الخاصَّة" . وعلى المنوال نفسه ؛

أعرب الملك العظيم الحثّي - في رسالة أرسلها - في تلك الفترة نفسها، إلى حاكم أوغاريت - عن قَلَقه بشأن حُضُور مجموعة من "شعب البحر" تُدعى "شيقالايا" "الذين يعيشون على المراكب".

بعد عشر سنوات، في سنة 1175 ق. م، عمَّ هذا الوَضْعُ في جميع أنحـاء الشّمال: كانت حثّي، وآلاشيا، وأُوغاريت مُدمَّرة. لكنَّ مصر مازالت قُـوَّة هائلـة، مُصمِّمة على القيام بدفاع مُستميت. تحكي النُّقُوش التّذكاريَّة لرمسيس الثّالث في معبد "مدينة هابُو" Medinet Habu في مصر العُليا، أنَّ "شُعُوب البحر" دبَّـروا مُؤامرة مزعومة لتدمير الأراضـي المُستقرَّة الواقعة شرقي البحر الأبيض المُتوسِّط: "حاكت البُلدان الأجنبيَّة مُؤامرة في جزُرها، أنَّه لا يُمكـن لأيِّ أرضٍ أنْ تقف أمام أسلحتهم. . . . كانوا يتقدَّمون باتِّجاه مصر، بَيْنما كان اللَّهَبُ قد تمَّ إعداده أمامـهم. ضـمَّ اتِّحـادُهُم الفلسطينيِّين، التّجيكريِّيـن Tjeker، الشّيكليشـيِّين Shekelesh، الدّنينيِّيـن Denyen، والوشْشيِّين Weshesh، الذين اتَّحدت أراضيهم. لقد وضعوا أيديهم على الأراضـي بقدر ما تتَّسع له دائرة الأرض، وقالوا - بقُلُوب واثقة ومُطمئنة -: "خُطَطُنا سَتَنْجَح!".



الشّكْل11: نقشٌ نـافر(بـارز) فـي معبـد مُسْتودع الجُثـث الخـاصّ برمسـيس الثّالث في مدينة'هابُو' في مصر العُليا، يُبيِّن المعركة البحريَّة مع شُعُوب البحر.

على جدارٍ خارجي للمعبد رُسِمَتْ رُسُومات واضحة وحَيَويَّة، تصف المعارك المُتتالية (الشَّكْل رَقْم 11). في أحدها؛ يظهر تشابك للسُّفُن المصريَّة مع الأجنبيَّة في وسط اشتباك بحري فوضوي، مع صُورة لرُماةٍ يستعدُّون لضَرْب سُفُن أعدائهم بالنِّبال، ومُحاربون ميِّتون يسقطون في البحر.

يظهر الغُزاة البحريُّون بأشكال تختلف كثيراً عن أشكال المصريِّين، أو عن أشكال الشُّعُوب الآسيويَّة في الفنِّ المصري. أكثر ما يُميِّز مظهرهم هُو غطاء رأسهم المُميَّز: بعضهم كان يلبس الخُوَذ، في حين كان آخرون يضعون على رُؤُوسهم غطاء رأس غريباً مُرَيَّشاً. على مقربة من ذلك الرَّسْم، يُوجد رَسْم آخر، يُصوِّر معركة بريَّة عنيفة، يشتبك فيها المصريُّون مع مُحاربي "شُعُوب البحر"، بَيْنما عائلات الرِّجال، من النِّساء، والأطفال، يركبون عَرَبَات الثِّيران الخشبيَّة للهجرة عبْر الأرض، وينظرون للمعركة بلا حيلة.

بحسب الفرعون رمسيس الثّالث؛ كانت نتيجة المعارك البريَّة والبحريَّة حاسمة: [أولئكَ الذين وَصَلُوا لحُدُودي، لم تنتهِ بذرتُهُم فحسب، بل انتهت قُلُوبهم، وأرواحهم، إلى أبد الآبدين. أُولئكَ الذين تقدَّموا مع بعضهم عبْر البحر، كان اللَّهَبُ الكامل أمامهم. سُحبوا، وأُحيط بهم، وطُرِحوا على الشّاطئ، ثُمَّ قُتلوا، وجُعلوا أكواماً من ذيلهم لرُؤُوسهم].

مَنْ كان "شُعُوب البحر" المُهدِّدُون أُولئكَ؟

هُناك نقاش علْمي مُستمرٌّ حول أصلهم، والعوامل التي حَرَّكَتْهُم نحو الجنوب والشّرق. يرى البعض أنَّهم كانوا إيجيِّين؛ في حين؛ يتلمَّس آخرون أصلَهم في جنوب الأناضول، لكنْ؛ ما الذي دَفَعَ بآلاف النّاس المُشرَّدين من أوطانهم إلى السَّيْر في طُرُق البحر والبَرِّ، بحثاً عن منازل، أو أوطان جديدة؟ هُناك احتمال أنَّهم كانوا اتِّحاداً ضعيفاً من قراصنة، وبحَّارة، بدُون جُذُور، وفلاَّحين مُعدَمين، شُرِّدوا من أوطانهم؛ بسبب المجاعة، أو الضَّغْط السُّكَّاني، أو ندرة الأراضي الزِّراعيَّة. بتحوُّلهم نحو الشّرق وتحطيمهم للشّبكة الهشَّة للتِّجارة الدّوليَّة في شرقي البحر الأبيض المُتوسِّط، أوقعوا الفوضى في اقتصاديَّات العصر البرُونزي، وأرسلوا الإمبراطُوريَّات العظيمة في ذلك العصر إلى عالم النِّسيان.

عَرَضَتْ نَظَرِيَّات أكثرُ حداثةً تفسيراتٍ مُختلفةً بشَكْل مُثير. يُشير البعض إلى تغيير مناخي مُفاجئ دمَّر الزّراعة، وسبَّب مجاعةً واسعة الانتشار. يفترض آخرون انحلالاً وتعطُّلاً كاملاً للمُجتمعات في كافَّة أنحاء شرقي البحر الأبيض المُتوسِّط، بنَحْوٍ أصبح معه من العسير تحمُّل أيِّ تغيُّر اقتصادي، أو ضغط اجتماعي. في كلا السِّيناريُويَيْن المُحتملَيْن الأخيرَيْن، لم تكن الهجرات المُفاجئة "لشُعُوب البحر" هي السّبب، بل كانت المُسَبَّب. بكلمة أُخرى؛ أرسل انحلال وتوقُّف اقتصاديَّات القَصْر للعصر البرُونزي المُتأخِّر حُشُوداً من النّاس الذين شُرِّدوا من أوطانهم، ليَهيمُوا في شرقي البحر الأبيض المُتوسِّط؛ بحثاً عن أوطان، ومعايش جديدة.

الحقيقة هي أنَّنا لا نعرف - على وجه الدِّقَّة - سَبَبَ انهيار العصر البرُونزي المُتأخِّر في كافَّة أنحاء المنطقة. رغم ذلك؛ فإنَّ الشّواهد الآثاريَّة - التي تدلُّ على نتيجة ذلك الانهيار - واضحة. يأتي الدّليل الأكثر إثارة من من "فيليسطيا" **Philistia** في جنوب إسرائيل؛ أيْ أرض الفلسطينيِّيْن، الذين كانوا أحد "شُعُوب البحر"، الذين ذُكروا في نَقْش رمسيس الثّالث. كَشَفَتْ التّنقيبات الأثريَّة في اثنَيْن من المراكز الفلسطينيَّة الرّئيسيَّة: "أشدود" و"عقرُون" شواهد مُفيدة حول سنوات الاضطرابات تلك.

في القرن الثّالث عشر ق.م؛ كانت "أشدود" - بشَكْل خَاصٍّ - مركزاً كَنْعَانيَّاً ناجحاً، يعيش تحت التّأثير المصري. بقيت كلتا "أشدود" و"عقرُون" حتَّى أيَّام رمسيس الثّالث على الأقلِّ، ثُمَّ دُمِّرَت واحدة من المدينتَيْن، على الأقلِّ؛ أيْ "أشدود"، بحَرْقها بالنّار.

أسَّس المُهاجرون الفلسطينيُّون مُدُنهم على الخراب. وفي القرن الثّاني عشر ق.م؛ كانت "أشدود" و"عقرُون" قد أصبحتا مدينتَيْن مُزدهرتَيْن، مع ثقافة ماديَّة جديدة. استُبْدلَت المظاهر القديمة للهندسة المعماريَّة والسّيراميك التي كانت مزيجاً مصريَّاً كَنْعَانيَّاً بشيء جديد تماماً في هذا الجُزء من البحر الأبيض المُتوسِّط: هندسة معماريَّة وأنماط فخَّاريَّة إيجيَّة.

وفي أجزاء أُخرى من البلاد؛ انحلَّ، وتعطَّل النّظام في العصر البرُونزي المُتأخِّر؛ بسبب انتشار عُنْف لم يتَّضح مصدره - بشَكْل كامل - حتَّى الآن. بسبب الفترة الزّمنيَّة الطّويلة - حوالي قرن - لانهيار نظام "دُول المُدُن" الكَنْعَانيَّة، من المُحتمل أنْ تكون الأزمة الشّديدة قد أدَّت إلى

حُصُول نزاعات بَيْن المُدُن الكَنْعَانيَّة المُتجاورة من أجل السَّيْطَرَة على الأراضي الزِّراعيَّة الحَيَويَّة، وعلى قُرَى الفلاَّحين. في بعض الحالات؛ لربَّما قام الفلاَّحون ـ الذين يمرُّون بصُعُوبات بالغة ـ والسُّكَّان الرُّعاة، بمُهاجمة المُدُن الغنيَّة في وسطهم. سقطت المراكز الكَنْعَانيَّة القديمة؛ واحداً بعد الآخر، في حرائق مُثيرة ومُفاجئة، أو دَخَلَتْ في مرحلة انحدار وانحطاط تدريجي.

في الشّمال، أُحرقَت "حاصُور"، وقطِّعَتْ رُؤُوس تماثيل الآلهة في قَصْرها المَلَكي، وَجُعلَت حطاماً.

وعلى السّهل السّاحلي؛ دُمِّرَت مدينة "أفيق" بنارٍ رهيبةٍ؛ تمَّ العُثُور على لوح مسماري، يتعلَّق بصفقة حنطة حَيَويَّة بَيْن "أوغاريت" ومصر في حُطام الدّمار السّميك. وإلى الجنوب أكثر؛ أُحْرقَت المدينة الكَنْعَانيَّة البارزة "لَخِيْش"، وهُجرَتْ.

وفي وادي "يَزْرَعيل" الغني، تُركَتْ "مَجدُو" لُقْمَةً سائغةً لألسنة اللَّهَب، ودُفن قَصْرها تحت ستَّة أقدام من حُطام الطّابوق المُحترق.

يجب التّأكيد على أنَّ هذا التَّحوُّل العظيم لم يكن فُجائيَّاً في كُلِّ مكان. تُشير الأدلَّة الآثاريَّة إلى أنَّ دمار المُجتمع الكَنْعَاني كان عَمَليَّة طويلة وتدريجيَّة نسبيَّاً. الأنواع الفخَّاريَّة التي وُجدَتْ في أنقاض "حاصُور" العصر البرُونزي المُتأخِّر، فاقدة للأشكال المُميَّزة لأواخر القرن الثّالث عشر ق.م، لذا؛ لابُدَّ أنْ تكون قد دُمِّرت في زمن أسبق بعض الشّيء. في مدينة "أفيق"، يحمل اللّوح المسماري ـ في أحد طبقات الدّمار ـ أسماء مسؤولين من أوغاريت ومصر معروفة من مصادر أُخرى، وبالتَّالي؛ يُمكن تأريخها إلى حوالي 1230 ق.م.. يُمكن أنْ يكون المعقل المصري هُناك قد دُمِّر في أيِّ وقت، في العقدَيْن أوالثّلاثة التي تَلَتْ. وَجَدَ المُنقِّبون في "لَخيْش" في طبقة الدّمار، جُزءاً معدنيَّاً، من المُحتمل أنْ يكون مُلائماً للباب الرّئيسي للمدينة، يحمل اسم الفرعون رمسيس الثّالث.

هذا الاكتشاف يُخبرنا بأنَّ "لَخيْش" يجب أنْ تكون قد دُمِّرَت في وقت ليس أبكر من عهد هذا الملك، الذي حَكَمَ بَيْن 1184 و1153 ق.م..

أخيراً؛ في خرابات "مَجدُّو"، تمَّ اكتشاف قاعدة معدنيَّة لتمثال يحمل اسم رمسيس الرّابع (1143 ـ 1136 ق.م)، ممَّا يُشير إلى أنَّ ذلك المركز الكَنْعَاني العظيم لوادي "يَزْرَعيل" قد تمَّ تدميره ـ احتمالاً ـ في النّصف الثّاني من القرن الثّاني عشر.

مُلُوك كُلّ هذه المُدُن الأربع "حاصُور"، "أفيق"، "لَخيْش"، و"مَجدُّو"، ذُكر بأنَّهم قد هُزموا على أيدي الإسرائيليِّين تحت قيادة يشُوع، لكنَّ الأدلَّة الآثاريَّة تُظهر بأنَّ دمار تلك المُدُن حدَثَ على مدى أكثر من قرن. الأسباب المُحتمَلَة لذلك الدّمار هي: إمَّا عمليَّات غزو، أو انحلال اجتماعي، أو حُرُوب أهليَّة؛ أيْ أنَّه لم تقم بذلك الدّمار قُوَّة عسكريَّة وحيدة، وبالتّأكيد؛ لم يتمَّ ذلك الدّمار خلال حَمْلَة عسكريَّة واحدة.

ذكريات في حالة تحوُّل:

حتَّى قبل أنْ تضع نتائج الاكتشافات الآثاريَّة علامات سُؤال كبيرة حول الأساس التّاريخي لغزو وفُتُوحات يشُوع في كَنْعَان، كانت هُناك دائرة صغيرة من العُلماء بالكتاب المُقدَّس الألمان تتأمَّل في تطوُّر التّقليد الأدبي الإسرائيلي، بَدَلاً من التّأمُّل في استراتيجيَّات ساحة المعركة. كَوَرَثَة للاتِّجاه النَّقْدي القويّ الّذي تميَّز به القرن التّاسع عشر، أشار ذلك الفريق من العُلماء إلى وُجُود تضاربات داخليَّة في النَّصّ التّوراتي، الذي يحتوي ـ على الأقلّ ـ على روايتَيْن مُتميِّزتَيْن ومُتناقضتَيْن ـ بشَكْل مُتبادَل ـ لقصَّة غزو الإسرائيليِّين لكَنْعَان.

طالما عدَّ العُلماءُ الألمانُ كتابَ يشُوع مجموعةً مُركَّبَةً من: أساطير، وقَصَص أبطال، وحكايات محلِّيَّة، أُخذت من مناطق مُختلفة من البلاد، تمَّ تأليفها مع بعض عبْر القُرُون. لقد حاول العالمان بالكتاب المُقدَّس "ألبريخت الت" ومارتن نُوث" ـ بشكْل خاصّ ـ إثبات أنَّ عديداً من القَصَص التي أُبقيت ضمن كتاب يشُوع لم تكن أكثر من تقاليد، كان يُصار إليها بنَحْو يُشابه ـ لحَدّ كبير ـ منهج "علْم أسباب الأمراض"؛ أيْ بمعنى آخر، أنَّها كانت أساطير تُحاول أنْ تفسِّر كيفيَّة حُصُول المعالم المشهورة، أو أنَّها ناتجة عن الفُضُول الطّبيعي لدى الإنسان. مثلاً؛ لا شكَّ أنَّ النّاس الذين كانوا يعيشون في قرية بيت إيل ـ في العصر الحديدي ـ وما حولها، قد لاحظوا التّلَّ الضّخم للخرابات أو الآثار العائدة للعصر البرُونزي المُبكِّر إلى الشّرق منهم. كانت تلك

الخرابات والآثار أكبر عشرة مرَّات ـ تقريباً ـ من بلدتهم الخاصَّة، وكانت بقايا تحصيناته ماتزال رائعة، لذا؛ حاول "ألبرخت الت" و"مارتن نُوث" إثبات أنَّه ربَّما كانت الأساطير قد نَمَتْ حول تلك الخرابات، ونَمَتْ قَصَص انتصار الأبطال القُدماء، التي وضَّحت كيف كان من المُمكن لمثل تلك المدينة الكبيرة أنْ تُدَمَّر.

في منطقة أُخرى من البلاد، ربَّما كان النّاس الذين يعيشون في تلال شفيلة **Shephelah** قد أُعجبوا بالحجم الكبير للصّخرة التي تسدُّ مدخل مغارة سرِّيَّة غامضة قُرْب بلدة "مَقِّيدَة"، لذا؛ ربَّما تكون قد نشأت قَصَص تربط بَيْن الحجارة الضّخمة والأفعال البُطُوليَّة في ماضيهم الخاصِّ الخافت: لقد سدَّت الصّخرةُ فمَ المغارة، التي كان خمسة من المُلُوك القُدماء قد اختفوا فيها، ثُمَّ دُفنوا فيها فيما بعد، كما يُوضّحه سفْر يشُوع 10/ 16 - 27. طبقاً لوُجهة النَّظَر هذه، القَصَص التّوراتيَّة التي انتهت بمُلاحظة أنَّ بعض المعالم كان مايزال يُمكن رُؤيتها "إلى يومنا هذا"، كانت ـ احتمالاً ـ أساطير من هذا النّوع. وفي وقت ما؛ تمَّ تجميع هذه القَصَص الفَرْديَّة، ورَبْطها مع بعض؛ لتُشكِّل حَمْلَة فَتْح واحدة، يقودها زعيم أُسطُوري عظيم.

على العكس من إعطائهما سفْر يشُوع صفة الأُسطُوريَّة بشَكْل كبير؛ نَظَرَ "ألبريخت الت" "ومارتن نُوث"، إلى الإصحاح الأوَّل من سفْر القُضَاة على أنَّه يمتلك ـ احتمالاً ـ نُواةً موثوقةً يُمكن الاعتماد عليها لانتصارات قديمة، حقَّقتْهَا ميليشيات جَبَليَّة مُتناثرة على نطاق واسع، على مُختلف المُدُن التي كانت تُهَيْمن عليهم.

في الحقيقة؛ الحالة الفوضويَّة لدمار المُدُن الكَنْعَانيَّة في بعض الأماكن، وبقائها في أماكن أُخرى يتَّفق أكثر مع الدّلائل الآثاريَّة. مع ذلك؛ ليس هُناك سبب يُفسِّر لماذا لا يُمكن أنْ تشتمل قصَّة الغزو في سفْر يشُوع على ذكريات شعبيَّة ـ أيضاً ـ وعلى أساطير كانت تُحيي ذلك التَّحوُّل التّاريخي. إنَّها يُمكن أنْ تُقدِّم لنا لمحات مُتناثرة ومُتفرِّقة جداً عن العُنْف، والعاطفة، والغبطة عند دمار المُدُن، والذّبح المُروِّع لسُكَّانها، الذي حَدَثَ بشَكْل واضح. مثل هذه التّجارب المُؤلمة، من البعيد أنْ يتمَّ نسيانها كُلِّيّاً، وفي الحقيقة؛ ربَّما تكون ذكرياتها الواضحة سابقاً، والتي نَمَتْ، وتوسَّعت، بنَحْو مُبهَم وتدريجي عبْر القُرُون، لتُصبح المادَّة الخامَّ لإعادة رواية

القصَّة بنَحْو أكثر إتقاناً بكثير. وبناءً على ذلك، فليس هُناك سبب لافتراض أنَّ احتراق "حاصُور" لم يحدث على أيدي قُوَّات مُعادية مثلاً، لكنَّ الذي كان - في الواقع - سلسلة فوضويَّة من الثّورات، سبَّبها العديد من العوامل المُختلفة، ونفَّذتْهَا العديد من المجموعات المُختلفة، أصبح - بعد عدَّة قُرُون لاحقة - قصَّة مُصاغةً - بشَكْل مُبدع - لفَتْح أراضٍ، بمُباركة الله، وقيادته المُباشرة. لقد تمَّ الإنتاج الأدبي لتلك القصَّة لأغراض مُختلفة - تماماً - عن إحياء أساطير محلِّيَّة. لقد كان - كما سنرى - خُطوة هامَّة نحو إيجاد الهُويَّة الإسرائيليَّة الجامعة.

عودة للمُستقبل مرَّة ثانية؟

هذه الصُّورة الأساسيَّة للتّراكم التّدريجي لأساطير وقَصَص - واندماجها النّهائي في قصَّة مُتماسكة وحيدة ذات رُؤية لاهُوتيَّة مُحدَّدة - كانت من نتاج تلك الفترة المُبدعة بنَحْو مُدهش، التي تميَّزت بالإنتاج الأدبي لمَمْلَكَة يهُوذا في القرن السّابع ق.م.. لعلَّ أكثر مُؤشِّر مفتاحي يدلُّنا على أنَّ سفْر يشُوع إنَّما تمَّ تأليفه في ذلك الوقت هُو قائمة البلدات في أرض قبيلة يهُوذا، والتي ذُكرت - بالتّفصيل - في سفْر يشُوع 15 / 21 - 62. تتطابق هذه القائمة - بالضّبط - مع حُدُود مَمْلَكَة يهُوذا في عهد الملك "يُوشيَّا". علاوةً على ذلك؛ تتطابق أسماء الأماكن المذكورة في القائمة - لحَدٍّ كبير - مع أسماء نماذج القُرَى المأهولة في المنطقة نفسها، في القرن السّابع ق.م، بل إنَّ بعض المواقع لم تُسْكَن إلاَّ في العُقُود الأخيرة من القرن السّابع ق.م..

لكنَّ الجَغرافيا ليست الصّلة الوحيدة بَيْن النَّصِّ وعصر الملك "يُوشيَّا"، بل نجد ملامح عقيدة الإصلاح الدِّيني والتَّطلُّعات الإقليميَّة التي تُميِّز ذلك العصر واضحة - أيضاً - في النَّصِّ. رأى العُلماء المُختصُّون بالكتاب المُقدَّس - مُنْذُ مُدَّة طويلة - أنَّ سفْر يشُوع هُو جُزء من ما سمُّوه بالتّاريخ التّثنوي Deuteronomistic History، الذي يجمع سبعة أسفار (من الكتاب المُقدَّس) تبدأ من سفْر التّثنية، وتنتهي بسفْر المُلُوك الثّاني، والتي تمَّ تأليفها جميعاً في عهد الملك "يُوشيَّا". يعود التّاريخ التّثنوي - مراراً وتكراراً - إلى الفكرة التي ترى أنَّه يجب أنْ تُحْكَم جميع أرض إسرائيل منْ قبَل زعيم يختاره اللهُ، يحكمُ كاملَ شعب إسرائيل، مُتَّبعاً في حُكْمه - بدقَّة - شريعة الله التي أنزلها في سيناء، ومُراعياً التّحذيرات الأكثر صرامة ضدَّ عبادة الأصنام، التي

بَلَّغها مُوسى لبني إسرائيل في كتاب سفْر التّثنية . إنّ لُغة سفْر التّثنية ، وأُسلُوبه ، والرّسائل اللاَّهُوتيَّة الصّارمة التي يتضمّنها ، نجدها نفسها ـ بشكْل واضح ـ في كافّة أنحاء سفْر يشُوع ، خُصُوصاً ؛ في الفقرات التي تمَّ فيها نَسْجُ قَصَص المعارك الفَرْديَّة مع بعض ؛ لإنتاج قصَّة الغزو ، وفَتْح كَنْعَان الكبيرة ، وتُلائم خُطَّة المعركة العامَّة في سفْر يشُوع حقائقَ القرن السّابع ق . م ، أكثر بكثير ممَّا كان عليه الحال في العصر البرُونزي المُتأخِّر .

إنَّ المعركتَيْن الأوَّليَّتَيْن في كتاب يشُوع ، ضدَّ أريحا و"عاي" (أيْ : منطقة بيت إيل) ، وَقَعَتَا في الأراضي نفسها ، التي كانت الهَدَفَ الأوَّل لتوسُّع الملك "يُوشيًّا" شمالاً ، عقب انسحاب الإمبراطُوريَّة الآشُوريَّة من مُحافظة السّامرة . كانت أريحا تُمثِّل المخفر الأمامي في أقصى الجنوب الشّرقي للمَمْلَكَة الشّماليَّة لإسرائيل ، وكانت المُحافظة الآشُوريَّة التّالية ، تقع مُقابل ذلك المعبر الاستراتيجي في نهر الأُردُن . كانت "بيت إيل" ـ مركز العبادة الرّئيسي ، والمكروه جداً في المَمْلَكَة الشّماليَّة ـ مركز التّوطين الآشُوري للأقوام غير الإسرائيليِّين[1] . كلا المكانَيْن كانا ـ فيما بعد ـ أهدافاً لنشاط الملك "يُوشيًّا" : لقد ازدهرت أريحا وما حولها بعد السَّيْطَرَة اليَهْوَذَويَّة عليها ، وتمَّ تدمير المعبد الشّمالي في بيت إيل بشكْل كامل .

وأيضاً ؛ تُوازي قصَّة غزو "شفيلة" **Shephelah** ، التَّوسُّعَ اليَهْوَذَويَّ المُجدَّد في تلك المنطقة المُهمَّة والخصبة جداً . هذه المنطقة التي تُعَدُّ المنطقةَ التّقليديَّةَ لإنتاج الحُبُوب ليهُوذا ، فَتَحَهَا الآشُوريُّون قبل عقُود قليلة ، وأُعْطيَت إلى مُدُن فيلسطيا **Philistia** .

في الحقيقة ؛ يُخبرنا سفْر المُلُوك الثّاني : 22 / 1 بأنَّ أُمّ "يُوشيًّا" جاءت من بلدة تُسمَّى "بُصْقَة" . لم تُذْكَر هذه البلدة إلاَّ مرَّة ثانية ـ فقط ـ في الكتاب المُقدَّس في قائمة بلدات قبيلة

---

(1) قصَّة الجبعونيِّين ، الذين "جاؤوا من أرض بعيدة "وأرادوا عقد ميثاق مع الإسرائيليِّين الغُزاة (يشوع 9/ 3 ـ 27) ، يُمكن أنْ تعكس ـ أيضاً ـ تبنِّياً لحقيقة من حقائق القرن السّابع ق . م . يتمُّ إظهارها بثوب قصَّة قديمة . عندما توسَّع الملك "يُوشيًّا" شمالاً إلى منطقة "بيت إيل" بعد انسحاب الإمبراطُوريَّة الآشوريَّة ، واجهت دولة يَهُوذا مُشكلة إدماج أحفاد المُبعدين الذين جَلَبَهُم الآشوريُّون من بعيد ، ووطَّنوهم هُناك قبل عقُود قليلة . ذكْر "العَويم" **Avvim** في هذه المنطقة في يُوشع 18 / 23 يستدعي للذّاكرة الاسم : "عَواً" **Avva** ـ أحد أماكن المُبعدين المذكورة في سفْر المُلُوك الثّاني 17 / 24 . كانت المُشكلة العويصة ـ بشكل خاصٍّ ـ في عهد الملك "يُوشيًّا" هي كيف يُمكن امتصاص أولئك الذين كانوا مُتعاطفين مع دولة يَهُوذا في المُجتمع . يُمكن لقصَّة الجبعونيِّين القديمة أنْ تزوِّدنا بسياق "تاريخي" يشرح فيه سفْر التّثنية كيف كان يُمكن عمل مثل ذلك الأمر . (المُؤلِّف) .

يهُوذا، التي يعود زمنها إلى عهد الملك "يُوشيَّا" (يشُوع 15 / 39)؛ حيثُ تظهر هُناك "بُصْقَة" بَيْن "لَخيْش" و"عجلون"، المدينتَيْن الكَنْعَانيَّتَيْن اللَّتَيْن تلعبان دوراً رئيسياً في قصَّة غزو يشُوع لـ "شفيلة" Shephelah.

تتَّجه قصَّة حَمْلَة يشُوع - بعد ذلك - نحو الشّمال، تعبيراً عن رُؤية القرن السّابع ق. م، لفتُوحات إقليميَّة مُستقبليَّة. إنَّ الإشارة إلى "حاصُور" تستدعي إلى الذّهن ليس سُمعتها في الماضي البعيد كأبرز دُول المُدُن الكَنْعَانيَّة فحسب، بل تستدعي - كذلك - حقائق قرنٍ واحدٍ قبل ذلك أيضاً، عندما كانت "حاصُور" المركز الأكثر أهميَّة لمَمْلَكَة إسرائيل، في الشّمال، وبعد فترة وجيزة تالية، أصبحت مركزاً إقليمياً هاماً للإمبراطُوريَّة الآشُوريَّة (السُّوريَّة)، بقَصْرها الرّائع، وقلعتها المُثيرة للإعجاب. كذلك لا يقلُّ أهميَّة في مغزاه - عمَّا سَبَقَ - ذكْر "نافوت دُور" Naphot Dor، مُلمّحاً - احتمالاً - إلى الأيَّام التي كانت مدينة "دُور" فيها عاصمة مُحافظة آشُوريَّة.

في المجمُوع؛ تنطبق الأراضي الشّماليَّة المذكورة في سفر يشُوع على أراضي مَمْلَكَة إسرائيل المقهورة، والتي صارت - فيما بعد - مُحافظات آشُوريَّة، تلك الأراضي التي كانت يهُوذا تعتقد أنَّها ميراثها الموهوب من الله لشعب إسرائيل، والتي كانت ستُسْتَرَدُّ - قريباً - من قبَل يشُوع "جديد".

غزوٌ جديدٌ للأرض الموعودة؟

عندما تُوِّجَ "يُوشيَّا" ملكاً عام 639 ق. م، كانت فكرة قداسة ووحدة أرض إسرائيل - ذلك المفهوم الذي أكَّد عليه سفر التّثنية بعاطفة قويَّة جداً - ماتزال بعيدة عن الإدراك. باستثناء الوسط الصّغير جداً لمَمْلَكَة يهُوذا (الحقّ التّقليدي لقبائل يهُوذا وسيمون والشّريط الضّيِّق إلى الشّمال منه، والذي يُمثِّل الحقَّ التّقليدي لبنيامين)، كانت الأغلبيَّة العُظمَى لأرض الميعاد خاضعة لسيطرة قُوَّة أجنبيَّة، هي الإمبراطُوريَّة الآشُوريَّة، وبقيت كذلك لمُدَّة قرن تقريباً، بل كانت يهُوذا - أيضاً - تابعة لأمر الإمبراطُوريَّة الآشُوريَّة.

كان تفسير الكتاب المُقدَّس العبْريّ لهذه الحالة الحزينة مُتجهِّماً شديداً، بقَدْر ما كان بسيطاً. في الأوقات الأخيرة؛ لم يفِ شعب إسرائيل بالتزامه بقوانين الميثاق، التي كانت

الشّرط الأساسي لامتلاكهم الأرض الموعودة. لم يستأصلوا كُلَّ أثر للعبادة الوَثَنيَّة. لم يتوقَّفوا عن تقديم الثّناء لآلهة الشُّعُوب الأُخرى في مُحاولتهم لكَسْب الثّروة من خلال التّحالفات التّجاريَّة أو السّياسيَّة، لم يتّبعوا شرائع الطّهارة في الحياة الشّخصيَّة بإخلاص، لم يهتمُّوا حتَّى بتقديم أدنى إغاثة لإخوانهم الإسرائيليِّين، الذين وَجَدُوا أنفسَهُم مُسْتَعْبَدين، أو مُعْدَمين، أو مُتَحَمِّلين لدُيُون باهظة.

باختصار؛ توقَّفوا عن كَونهم جماعة مُقدَّسة. كان الطّريق الوحيد للتَّغلُّب على ذُنُوب الأجيال السّابقة، والسّماح للإسرائيليِّين باستعادة امتلاك كامل أرض إسرائيل، هُو التَّمسُّك الدّقيق جداً (لحَدِّ الوَسْوَسَة) بالتّشريع المنصوص عليه في كتاب "سفْر الشّريعة"، الذي تمَّ اكتشافه مُؤخَّراً.

بعد سنوات قليلة؛ انسحب الآشُوريُّون، وبدا توحُّد جميع الإسرائيليِّين مُمكناً. عَرَضَ سفْر يشُوع مَلْحَمَةً غير مَنْسيَّة، مع درس واضح مفاده أنَّه: عندما اتَّبع شعب إسرائيل شريعة الميثاق، الذي أخذه اللهُ عليهم اتِّباعاً حَرْفيّاً، لم يُحَلْ بَيْنهم وبَيْن الانتصار في أيِّ معركة.

هذه النُّقطة تمَّت صياغتها بواسطة أكثر القَصَص الشّعبيَّة قُوَّة - سُقُوط أسوار أريحا، وُقُوف الشّمس بلا حراك في جبْعون، اندحار المُلُوك الكَنْعَانيِّين إلى الأسفل نحو المُرتقى الضّيِّق في بيت حورون -؛ حيثُ دُمِجَتْ تلك القَصَصُ، وصُبَّت في مَلْحَمَة واحدة ذات خلفيَّة قرن سبعيَّة ق.م، مألوفة وإيحائيَّة جداً، وأُجريت المعارك في الأماكن ذات الأهمِّيَّة الخاصَّة بالنّسبة للعقيدة التّثنويَّة. كان أهالي يهُوذا في أواخر القرن السّابع ق.م - بقراءتهم وتلاوتهم لتلك القَصَص - سيرون فيها تعبيرا قويّاً عن أعمق آمالهم ومُعتقداتهم الدِّينيَّة.

بهذا المعنى؛ يُعَدُّ سفْر يشُوع تعبيراً أدبيّاً كلاسيكيّاً عن حنين وتخيُّلات شعب في زمن ومكان مُعيَّنَيْن. وقد استُخْدِمَت الشّخصيَّة الرّفيعة ليشُوع لاستدعاء صُورة مجازيَّة لـ"يُوشيَّا"، المُنقذ المُنتظَر لكُلِّ شعب إسرائيل.

في الحقيقة؛ برهن العالم التّوراتي الأمريكي "ريتشارد دي. نيلسن" كيف وُصِفَتْ شخصيَّة يشُوع في أسفار التّاريخ التّثنوي بعبارات تخصُّ - عادةً - الملك. لقد تمَّ تأطير نَصْب الله

ليشُوع، عند تولِّيه القيادة (يشُوع 1 / 1 ـ 9) بأسلُوب كلامي يخصُّ ـ عـادةً ـ التّنصيب المَلكي. وتُذكِّرُنا بَيْعَةُ النّاس على الطّاعة الكاملة ليشُوع كَخَليفة لمُوسى (يشُوع 1/ 16 ـ 18) بعادة السُّجُود العامِّ للملك الذي يتمُّ تتويجه حديثاً. قاد يشُوع مراسمَ تجديد الميثاق (يشُوع 8/ 30 ـ 35)، وهُو دور أصبح امتيازاً خاصاً لمُلُوك يهُوذا. والأكثر دلالة من كُلِّ ما سَبَقَ تلك الفقرة التي يأمُر اللهُ فيها يشُوع: [أنْ لا يَبْرَحْ سفر هَذه الشّريعَة منْ فَمكَ، بَلْ تَلْهَجُ فيه نَهَاراً وَلَيْلاً] (يشُوع 1 / 8 ـ 9)، في تشابهٍ غريب مع وَصْف الكتاب المُقدَّس العبْريّ لـ "يُوشيًّا" كَملك مُهتمٌّ ـ فقط ـ بدراسة الشّريعة، وأنَّه شخصٌ [قَدْ رَجَعَ إلَى الرَّبِّ بكُلِّ قَلْبه، وكُلِّ نَفْسه، وكُلِّ قُوَّته، حَسَبَ كُلِّ شَريعَة مُوسَى] (سفر المُلُوك الثّاني: 23 / 25).

ليس هذا مُجرَّد تشابهات عاديَّة بَيْن شخصيَّات مُستقيمة في الكتاب المُقدَّس العبْريّ، لكنَّه تشابه مُباشر في أسلُوب الكلام، وفي العقيدة، بالإضافة للأهداف الإقليميَّة المُتماثلة لكُلٍّ من "يشُوع" و"يُوشيًّا". بالطَّبع؛ تَوَسُّعُ "يُوشيًّا"، أو رَغْبَتُهُ بضمِّ أراضي مُرتفعات المَمْلَكة الشّماليَّة، أنْعَشَ آمالاً عظيمة، لكنَّه ـ في الوقت نفسه ـ طَرَحَ صُعُوبات عَمَليَّة حادَّة. كان هُناك التَّحدِّي العسكري المُطلَق. كانت هُناك حاجة لأنْ يُثْبتَ للسُّكَّان المحلِّيِّين للمُرتفعات الشّماليَّة بأنَّهم كانوا ـ في الحقيقة ـ جُزءاً من شعب إسرائيل العظيم، الذي قاتل ـ جنباً إلى جنب ـ شعب يهُوذا لوراثة أرض الميعاد. وكان هُناك ـ أيضاً ـ مُشكلة التَّزوُّج بالنّساء الأجنبيَّات (غير الإسرائيليَّات)، التي أصبحت مُمارسة شائعة بَيْن الإسرائيليِّين، الذين بقوا في أراضي المَمْلَكة الشّماليَّة، والذين قام الآشُوريُّون بتوطين أجانب مُبْعَدين بَيْن ظهرانيهم.

إنَّه الملك "يُوشيًّا" الذي يقف وراء قناع "يشُوع" في إعلانه بأنَّ شعب إسرائيل يجب أنْ يبقى مُنْفَصلاً ـ تماماً ـ عن السُّكَّان المحلِّيِّين للأرض. هكذا يُبرز سفر يشُوع ـ بشَكْل واضح ـ أعمقَ مخاوف القرن السّابع ق.م، وأكثرها ضغطاً. وكما سنرى ـ لاحقاً ـ كانت قُوَّة هذه المَلْحَمَة هي تمكُّنها من البقاء حتَّى بعد زمن طويل من الفشل المأساوي لخُطَّة الملك "يُوشيًّا" الطَّمُوحة والدِّينيَّة والتّقَويَّة لإعادة احتلال أرض كَنْعَان.

المُؤلِّفَان وَالمُتَرجِمُ في سُطُور

ـ د. إزْرَايل (إسْرائيل) فنْكلشْتَايْن: Israel Finkelstein

رئيس قسم علْم الآثار في جامعة تلّ أبيب في إسرائيل (فلسطين المُحتَلَّة)، وبرُوفسُور ـ حاليّاً ـ في ذلك القسم. إسرائيليٌّ من أصل ألماني، حائز على الماجستير (1978)، ثُمَّ الدكُتُوراه (1983) في علْم الآثار من جامعة تلّ أبيب، بأُطرُوحةٍ عُنوانها [التّنقيبات في" عزبت سرتاح" Izbet Sartah والاستيطان الإسرائيلي في منطقة التّلال (المُرتفعات)]. شغل منصب مُدير أو مُدير مُشارك للعديد من أعمال التّنقيب الآثاريَّة في مناطق مُختلفة من فلسطين مُنْذُ عام 1971، وحتّى اليوم، آخرها رئاسته المُشتركة ـ حاليّاً ـ لمشروع أعمال التّنقيب الآثاريَّة في "مَجدُّو".

بالإضافة إلى كتابه الحالي، الذي هُو آخر تأليفاته، صَدَرَ له عدَّة كُتُب بالتّعاون مع مُؤلّفين آخَرين، أهمّها:

1 ـ " العيش على الحافَّة: علْم الآثار وتاريخ النَّقَب وسيناء و المناطق المُجاورة في العُصُور البرُونزيَّة والحديديَّة" (1995، شيفيلد).

2 ـ "من البَدَويَّة إلى المَلَكيَّة: الجوانب علْم الآثاريَّة لإسرائيل القديمة" (1994، القُدْس).

3 ـ "مُرتفعات الحضارات المُتعدِّدة: استطلاع السّامرة الجنوبيَّة" (1993، تلّ أبيب).

4 ـ " المُسُوحات الآثاريَّة في ريف التّلال و المُرتفعات في بنيامين" (1993، القُدْس).

5 ـ "علم آثار المواقع التّوراتيَّة" (1993، شيلوح).

نَشَرَ، ومايزال ينشر، العديد من المقالات حول موضوعات علْم آثاريَّة في العديد من المجلاَّت والحوليَّات المُهتمَّة بعلْم الآثار والدّراسات التّاريخيَّة؛ مثل: "مجلَّة المعاهد الأمريكيَّة للدّراسات الشّرقيَّة"، و"المجلَّة الأمريكيَّة لعلْم الآثار".

بريده الإلكتروني : fink2@post.tau.ac.il

ـ نيل إشر سيلْبرْمَان Neil Asher Silberman

مُؤلِّف ومُؤرِّخ (أمريكي يهُودي الأصل) ذُو اهتمام خاصٌّ بالتّاريخ، وعلْم الآثار، والتّفسيرات العامَّة. زميل سابق لـ "غوغنهايم" Guggenheim وخرِّيج جامعة "ويزليان" Wesleyan في الولايات المُتَّحدة، مُؤلِّف لتسعة كُتُب في مواضيع آثاريَّة. ومُحررٌ مُساهم في مجلَّة "علْم الآثار" Archaeology Magazine الأمريكيَّة، ومُساهم ـ بشَكْل مُتكررٍ ـ في عدَّة نشرات ودوريَّات علْم آثاريَّة وذات اهتمام عامٍّ، و لديه خبرة خاصَّة في إيصال الاكتشافات الآثاريَّة والرُّؤى النّاجمة عنها لعامَّة النّاس. كُتُبُه (علاوةً على كتابه الحالي):

1 ـ "سُلطات سماويَّة" (بنجوان بوتنام، 1998)؛

2 ـ "وراثة المَمْلَكَة" (مع ريتشارد أي. هورسلي Horsley، بوتنام، 1997)؛

3 ـ "علم آثار إسرائيل" (مع ديفيد أ. سمول، شيفيلد، 1995)؛

4 ـ "أمريكا غير المرئيَّة" (مع مارك ب. ليون، هولت، 1995)؛

5 ـ "اللّفائف المخفيَّة" (بوتنام، 1994)؛

6 ـ "نبيٌّ من بَيْنكم: حياة ييغائيل يادين Yigael Yadin (أديسون ويزلي، 1993)؛

7 ـ "بَيْن الماضي و الحاضر" (هولت، 1989)؛

8 ـ "الحفريَّات لأجل الله والبلاد" (نوف، 1982).

عُضْو هيئة "مركز إينيم" Ename Center مُنْذُ عام 1998، يعمل في مشاريع دوليَّة مُختلفة في علْم الآثار وتفسير التُّراث. يُمكن مُراسلته بالبريد الإلكتروني على العُنوان التّالي:

neil.silberman@ename974.org

المُؤلِّفَان وَالمُتَرْجِمُ في سُطُور

- د. إزْرَايل (إسرائيل) فنْكلْشْتَايْن: Israel Finkelstein

رئيس قسم علْم الآثار في جامعة تلّ أبيب في إسرائيل (فلسطين المُحتَلَّة)، وبرُوفسُور - حالياً - في ذلك القسم. إسرائيليٌّ من أصل ألماني، حائز على الماجستير (1978)، ثُمَّ الدُّكتُوراه (1983) في علْم الآثار من جامعة تلّ أبيب، بأُطرُوحةٍ عُنوانها [التّنقيبات في" عزبت سرتاح" Izbet Sartah والاستيطان الإسرائيلي في منطقة التّلال (المُرتفعات)]. شغل منصب مُدير أو مُدير مُشارك للعديد من أعمال التّنقيب الآثاريَّة في مناطق مُختلفة من فلسطين مُنْذُ عام 1971، وحتَّى اليوم، آخرها رئاسته المُشتركة - حالياً - لمشروع أعمال التّنقيب الآثاريَّة في "مَجدُّو".

بالإضافة إلى كتابه الحالي، الذي هُو آخر تأليفاته، صَدَرَ له عدَّة كُتُب بالتّعاون مع مُؤلِّفين آخَرين، أهمّها:

1 - " العيش على الحافَّة: علْم الآثار وتاريخ النَّقَب وسيناء و المناطق المُجاورة في العُصُور البرُونزيَّة والحديديَّة" (1995، شيفيلد).

2 - "من البَدَويَّة إلى المَلَكيَّة: الجوانب علْم الآثاريَّة لإسرائيل القديمة" (1994، القُدْس).

3 - "مُرتفعات الحضارات المُتعدِّدة: استطلاع السّامرة الجنوبيَّة" (1993، تلّ أبيب).

4 - " المُسُوحات الآثاريَّة في ريف التّلال و المُرتفعات في بنيامين" (1993، القُدْس).

5 - "علم آثار المواقع التّوراتيَّة" (1993، شيلوح).

نَشَرَ، ومايزال ينشر، العديد من المقالات حول موضوعات علْم آثاريَّة في العديد من المجلاَّت والحوليَّات المُهتمَّة بعلْم الآثار والدّراسات التّاريخيَّة؛ مثل: "مجلَّة المعاهد الأمريكيَّة للدّراسات الشّرقيَّة"، و"المجلَّة الأمريكيَّة لعلْم الآثار".

بريده الإلكتروني : fink2@post.tau.ac.il

ـ نيل إشر سيلْبِرْمَان Neil Asher Silberman

مُؤلّف ومُؤرِّخ (أمريكي يهُودي الأصل) ذُو اهتمام خاصٌ بالتّاريخ، وعلْم الآثار، والتّفسيرات العامَّة. زميل سابق لـ "غوغنهايم" Guggenheim وخرِّيج جامعة "ويزيليان" Wesleyan في الولايات المُتَّحدة، مُؤلّف لتسعة كُتُب في مواضيع آثاريَّة. ومُحررٌ مُساهم في مجلَّة "علْم الآثار" Archaeology Magazine الأمريكيَّة، ومُساهم ـ بشَكْل مُتكرِّر ـ في عدَّة نشرات ودوريَّات علْم آثاريَّة وذات اهتمام عامٌّ، و لديه خبرة خاصَّة في إيصال الاكتشافات الآثاريَّة والرُّؤى النّاجمة عنها لعامَّة النّاس. كُتُبُه (علاوةً على كتابه الحالي):

1 ـ "سُلطات سماويَّة" (بنجوان بوتنام، 1998)؛

2 ـ "وراثة المَمْلَكَة" (مع ريتشارد أي. هورسلي Horsley، بوتنام، 1997)؛

3 ـ "علم آثار إسرائيل" (مع ديفيد أ. سمول، شيفيلد، 1995)؛

4 ـ "أمريكا غير المرئيَّة" (مع مارك ب. ليون، هولت، 1995)؛

5 ـ "اللّفائف المخفيَّة" (بوتنام، 1994)؛

6 ـ "نبيٌّ من بَيْنكم: حياة ييغائيل يادين Yigael Yadin (أديسون ويزلي، 1993)؛

7 ـ "بَيْن الماضي و الحاضر" (هولت، 1989)؛

8 ـ "الحفريَّات لأجل الله والبلاد" (نوف، 1982).

عُضْو هيئة "مركز إينيم" Ename Center مُنْذُ عام 1998، يعمل في مشاريع دوليَّة مُختلفة في علْم الآثار وتفسير التُّراث. يُمكن مُراسلته بالبريد الإلكتروني على العُنوان التّالي: neil.silberman@ename974.org

المُتَرْجِم: سعد رُستُم:

باحث ومُترجم، من حلب، في سُوريا، مُتخصِّص بالدّراسات الإسلاميَّة ومُقارنة الأديان.

بدأ دراسته الجامعيَّة بدراسة الطِّبِّ البشري عام 1976، في جامعة حلب، لينتقل عام 1980، إلى دراسة العُلُوم الإسلاميَّة، مُبتدئاً بالدّراسة على الطّريقة التّقليديَّة في إيران/ قُم (1981 ـ 1985)؛ ليصل للمراحل الأخيرة من السُّطُوح، ثُمَّ ينتقل إلى الدّراسة الجامعيَّة الأكاديميَّة في باكستان من عام 1985، وحتَّى 1992؛ حيثُ نال البكالُوريُوس، ثُمَّ الماجستير في الدّراسات الإسلاميَّة من جامعة البنجاب/ لاهور (1987 و1989)، ثُمَّ ماجستير في التّفسير والحديث من الجامعة الإسلاميَّة العالميَّة/ إسلام آباد (1990)، وأخيراً؛ ماجستير فلسفة (M. Phil) بالدّراسات الإسلاميَّة وطُرُق البحث بدرجة مُمتاز مع الشّرف، من جامعة العلاَّمة إقبال المفتوحة في إسلام آباد (1992).

يُتقن أربع لُغات هي: الفرنسيَّة والإنجليزيَّة والفارسيَّة والأُرديَّة مع إلمام بسيط بالتُّركيَّة. عمل بالصّحافة فترة، ثُمَّ درَّس العُلُوم الدِّينيَّة لعقْد ونصف، ويُدَرِّس ـ حاليَّاً ـ اللُّغةَ الفارسيَّةَ في معهد اللُّغات في جامعة حلب، وقد اتَّجه للتّأليف والتّرجمة مُنْذُ عدَّة سنوات، فَصَدَرَ له عدَّة مُؤلَّفات أو كُتُب مُترجمة عن الإنجليزيَّة و الفارسيَّة. من مُؤلَّفاته التي طُبِعَتْ:

1 ـ "الذّات الإلهيَّة والمجازات القُرآنيَّة والنَّبويَّة: إزالة شُبهة التّشبيه والتّجسيم من أساسها"، (دار الأوائل، دمشق، 2002).

2 ـ "التّوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القدِّيسَيْن بُولُس و يُوحنَّا"، (دار الأوائل، دمشق، 2002).

3 ـ "المسيحيَّة وأساطير التَّجسُّد في الشّرق الأدنى القديم"، دانييل إ. باسُوك، (ترجمة عن الإنجليزيَّة)، (دار الأوائل، دمشق، 2002).

4 ـ "أمريكا ـ إسرائيل و11 أيلول 2001"، ديفيد ديوك، (ترجمة عن الإنجليزيَّة)، (دار الأوائل، دمشق، 2002).

5 ـ "حلُّ الاختلاف بَيْن الشّيعة والسُّنَّة في مسألة الإمامة"، (ترجمة عن الفارسيَّة)، (دار الأوائل، دمشق، 2002).

6 ـ "مناقب آل سيِّدنا مُحَمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم): عليّ وفاطمة والحَسَن والحُسَيْن"، (دار القلم العَرَبي/ حلب، 2003).

7 ـ "عليّ والخُلفاء دُرُوس وَ عِبَر"، (دار الكوثر/ دمشق، 2003).

8 ـ "الفِرَق والمذاهب الإسلاميَّة مُنْذُ البدايات: النّشأة ـ التّاريخ ـ العقيدة ـ التَّوزُّع الجَغرافي"، (دار الأوائل، دمشق، 2004).

9 ـ "الفِرَق و المذاهب المسيحيَّة مُنْذُ ظُهُور الإسلام وحتَّى اليوم"، (دار الأوائل، دمشق، 2004).

يُمكن ـ لِمَنْ أراد ـ مُراسلة المُترجم على بريده الإلكتروني: saadrstm@scs-net.org



الكتاب مهم جداً جداً، لأنه إقرار على لســـــان محققين يهوديين، إســـرائيلي وأمريكي، صاحبي خبرة طويلة في التنقيبات الآثارية وعلم الآثار بأن التوراة الحالية ليست كلها كلمة الله، فجاء كتابهما هذا مثيراً جداً، واستفزازياً جداً لليهود، حيث أثبتا أن التوراة الحالية قد كتبها كهنة يهود في عهد الملك المستقيم(يوشيا) ملك يهوذا في القرن السابع ق.م، فيبدأ كل فصل من فصول الكتاب بعرض الرواية التوراتية، ثم يعقب بذكر ما تقترحه المكتشـفات الآثارية، فكانت النتائج التي وصل إليها المؤلفان العلمانيان طعنة نجلاء في صميم المعتقدات اليهودية التقليدية، وتحطيماً للرموز الدينية التقليدية لليهود . ولعل أهم نقاط الكتاب :

* لا تؤيد الأدلة الآثارية رواية الخروج الجماعي من مصر بالشكل والأعداد والطريقة التي تذكرها التوراة العبرية.. * لم يقم يشوع بن نون بحملة غزوات موحدة لفتح أرض كنعان..*داود سليمان وجدا تاريخياً، لكن، كانا أقرب إلى رئيسي عشيرة منهما إلى ملكين،كما أن سليمان لم يبن أي هيكل(معبد) مائل.. * لم يكن هناك دين يهودي موحد في أغلب تاريخ يهوذا (إسرائيل القديمة)..*ليس هناك دليل علمي على الوجود الحقيقي لشخصيات مثل إبراهيم أو إسـحق او يعقوب.إن قوة وإفادة هذا الكتاب هو بطلان الدعاوى الصهيونية في أرض فلسطين اسـتناداً لتواجدهم القديم فيها، أو أنها أرض الميعاد، على لسان اثنين من كبار علمائهم أنفسهم، اللذين أكدا أن فلسطين كانت- وظلت دائماً- مسكونة من عدة شعوب تتالوا عليها كاليبوسيين والكنعانيين، والفلسطينيين، والعماليق، والعرب، وأن الإسرائيليين لم يكونوا إلا مجموعة هامشية فوضوية نمت وسيطرت لفترة قصيرة على منطقة محدودة من المرتفعات والتلال المركزية في فلسطين، في حين كانت بقية فلسطين مسكونة من الكنعانيين والفلسطينيين وغيرهم ...

AL - AWA'EL